مجلة دولية سنوية محكمة متخصصة فى الدراسات الأثرية والترميم تصدر عن كلية
الآثار والسياحة – جامعة المرقب – ليبيا

لبـدة الكبـرى

العدد الأول – أبريل 2014

لبدة الكبرى

العدد الأول – أبريل 2014 م

جامعة المرقب – ليبيا

المحتوى

قواعد النشر		7
تقديم		12
الأبحاث		14
الأبحاث باللغة العربية		15
تفسير مفهوم "العالمية" كسمة للحضارة الإسلامية تطبيقاً على عنصر المئذنة	أحمد محمود أمين	16
دراسة مواد البناء المستخدمة بمدرسة أحمد باشا القرمانلي (1150هـ/1738م) بمدينة طرابلس الغرب – ليبيا	حمدان ربيع عطية المتولي جمال أحمد المومر	63
منبران رخاميان من مساجد العصر العثماني في اليمن "دراسة آثارية وصفية"	رأفت محمد محمد النبراوى أحمد رجب علي محمد أحمد عبد الرحمن	81
اكتشاف مقبرة مسيحية مبكرة بمدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس الغرب (ليبيا)	رمضان امحمد الشيباني أريج إبراهيم صميدة	96
أمفورات متحف جنزور (طرابلس – ليبيا)	رياض الورفلي	113
مدينة سرت الإسلامية "سلطان" بين القرنين الأول والسادس الهجريين "دراسة تاريخية أثرية"	سعيد علي حامد	125
نماذج للحرف فى كشمير من خلال فن التصوير	عاطف علي عبد الرحيم	153
المدرسة المُعِينِيَّة بدمياط (854-861هـ/1450-1456م) دراسة جديدة للنقوش الكتابية والعمارة والوظيفة	مجدي عبد الجواد علوان عثمان	170
الآثار المسيحية في منطقة المدن الثلاث (Tripolitania)	محمد علي حسين الدراوي	206
الأبحاث باللغة الإنجليزية		224
تأثير الاختزال ببلازما الهيدروجين على الآثار الحديدية المستخرجة من البيئة البحرية	صالح محمد صالح إليني فليباكي كوستاس إكسابلانتيرس يانيس باسيكوس	6-17

Interpretation of the concept of the Universality as a characteristic feature of Islamic civilization: The case of the minarets

Ahmed M. Ameen

Fayoum University

Abstract.

This paper aims to explain the concept of the universality as a characteristic feature of Islam, Islamic civilization as well as Islamic architecture by discussing the form and the meaning of the minarets. The discussion of the minarets will be divided into the following items:

1) Form.

2) Function.

3) Representative and expressive impression.

4) Economy as an influential factor.

5) *Sharia* (Islamic rules or *Fiqh*) as an influential factor.

Then the article discusses how the minaret as an architectural element succeeded to mirror the characteristics of the Universality of Islam and Islamic civilization. The paper also compares between the concept of the universality of Islamic civilization and other universal civilizations through architecture as an indicator.

The paper concluded that the minaret is not only a universal architectural sign of Islamic architecture in itself, but also a truly mirror of the concept of the universality of Islam and Islamic civilization as well.

The goal of this paper surpasses to improve the universality of Islamic architecture through its widen spread or fame, as previous studies, to examine the concept of this Universality and to discuss its aspects and its echoes in the Islamic architectural heritage as well. The idea of the article as well as its dealing emphasizes its conceptual and philosophical nature, rather than archaeological analytical-descriptive traditional study.

تفسير مفهوم "العالمية" كسمة للحضارة الإسلامية تطبيقاً على عنصر المئذنة

أحمد محمود أمين

جامعة الفيوم

ملخص

يتجاوز هدف هذه الورقة البحثية التأكيد على صفة العالمية من حيث الانتشار أو الرواج –شأن الدراسات السابقة– إلى شرح سمات وخصائص مفهوم هذه العالمية، ومظاهر تحقيقها، وذلك تطبيقاً على دراسة المآذن كدراسة حالة.

وتقوم منهجية البحث فى التركيز على تبيان أوجه التمايز لمآذن كل مدينة أو قطر أو منطقة أو عصر (فى ضوء بعض النماذج المختارة) والتي تحقق الخصوصية المحلية كعامل شارح لخصائص عالمية الحضارة الإسلامية.

وتتطرق الدراسة إلى توضيح خصائص العالمية وطبيعة تطبيقها، وإظهار حالات الاختلاف من خلال تناول دراسة المئذنة على النحو الآتي:

1. الشكل.
2. الوظيفة.
3. البعد التعبيرى.
4. البعد الاقتصادى.
5. البعد الفقهى.

وينتهي البحث بمناقشة انعكاس سمات عالمية الإسلام عبر عنصر المئذنة، ومقارنة طبيعة عالمية الحضارة الإسلامية كما أوضحها البحث من خلال دراسة المئذنة وطبيعة عالمية الحضارات الأخرى.

مقدمة. عالمية الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية

الإسلام دين **عالمي** للناس كافة في كل زمان ومكان[1]، فهو ليس لعصر دون آخر أو منطقة أو بيئة دون أخرى. والشواهد والأدلة من القرآن والسنة النبوية عن عالمية الإسلام متعددة[2]. ولعل من أبرز شواهد عالمية الإسلام منهج دعوة النبي ﷺ في حياته متمثلة فى رسائله[3] التي أرسل بها رسل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.

وارتبطت صفة العالمية بالحضارة الإسلامية، من حيث انتشار ورواج مظاهر حضارية مادية وروحية في شتى بقاع العالم، وتناولت دراسات سابقة[4] لمفهوم العالمية في سياق دراسة عوامل تكوين السمات المحققة لمفهوم العالمية، وتختلف هذه الورقة البحثية عن الدراسات سالفة الذكر كما ذكرت في هدف البحث.

اتسمت العمارة الإسلامية بصفة عامة، وعمارة المساجد بصفة خاصة، بخصائص عامة مشتركة عكست عالمية رسالة الإسلام والحضارة الإسلامية. وفي الوقت نفسه اتسمت عمارة المساجد في كل قطر –أو مجموعة من الأقطار المتشابهة في بيئتها الجغرافية والمناخية، والُمشتركة في سياقها التاريخي والثقافي– بخصائص مميزة لها دون غيرها من المساجد في الأقطار الأخرى (خصائص محلية) وذلك يعكس فهمًا فطريًّا لكيفية استيعاب وتطبيق فكرة عالمية الإسلام؛ والتي لا تعني نسخ نموذج الجزيرة العربية مهد الإسلام –متأثراً بالعادات والتقاليد والمناخ والموقع الجغرافي– كقالب ثابت "للإسلام" في شتى بقاع العالم دون مراعاة خصوصية كل بقعة وفقاً لإمكاناتها الطبيعية والبشرية والسياق التاريخي والحضاري. وبالطبع فإن هذه المرونة في التطبيق وذلك الاختلاف الناتج عن تباين البيئة الجغرافية والمناخية والسياق التاريخي والثقافي (الموروث المحلي) يراعيان عدم التعارض مع أركان الإسلام وحدوده وقواعده الشرعية.

المئذنة

لا يهدف البحث لدراسة المآذن دراسة معمارية سواء كانت دراسة أفقية أو رأسية، والدراسات[5] في هذا الصدد عديدة، وإنما يتناول البحث المئذنة بما يوضح فكرته الرئيسية، وهي طبيعة عالمية الحضارة الإسلامية عبر دراستها كشاهد أثري معماري دال عليها. وفي هذا السياق يعرض البحث لمسميات المئذنة، المئذنة والأذان، نشأة المئذنة، وذلك فى إشارة عاجلة مع الإشارة للمراجع عن هذه النقاط، ثم دراسة المآذن في ضوء نماذج بما يوضح فكرة البحث، وذلك من حيث: الشكل (عمارة وتصميم المآذن)، الوظيفة (الغرض من إنشاء المئذنة، والأدوار الثانوية التي قامت بها المئذنة أحياناً في بعض المناطق)، البعد التعبيري، البعد الاقتصادي، البعد الفقهي المعماري.

مسميات المئذنة.

المئذنة تمثل تكوينًا معماريًّا (بناء مرتفع) يُلقى منه الأذان للإعلان عن وقت الصلاة.

وعرفت المئذنة بأسماء أخرى[6] هي: منار، منارة، صومعة، أسطوان، زوراء، مطمار. ومن هذه المسميات التي استمرت –فضلاً عن المئذنة– منار بصيغها المختلفة (منارة، منارا[7])، وصومعة (في بلاد المغرب بصفة خاصة)وتُ ذكر في الوثائق المملوكية باسم "ميدنة"[8] وهي أقرب إلى العامية المصرية.

ويعتقد Bloom أن مسمى "منار" هو المصطلح الأمثل للتعبير عن المئذنة كرمز معمارى عالمي[9] للإسلام. وعلى الرغم من الدائرة الواسعة للدلالة اللغوية، ومجالات استخدام لفظ "منار"، إلا أنه يظل مقبولاً للدلالة على عالمية المئذنة ككيان معماري.

المئذنة والأذان والمؤذن.

من الثابت أن الأذان جاء قبل المئذنة[10]، وأن الأخيرة ككيان معماري أخذت اسمها من الأذان. والأذان في حد ذاته –مرتبطاً بالمساجد والصلاة– يمثل واحدة من أهم خصائص عالمية الإسلام وعالمية الحضارة الإسلامية؛ فالأذان يُرفع على مدار أربع وعشرين ساعة خلال اليوم فوق قارات العالم جميعا، ليس فقط بلغة واحدة وهي العربية، بل وبصيغة واحدة غالًبا (باستثناء صيغة الأذان عند الشيعة[11])، ويرفعه المسلمون على اختلاف لغاتهم وأجناسهم وأماكنهم وثقافاتهم.

ويمثل المؤذن الضلع الثالث في المثلث بجانب المئذنة والأذان. ومع تعدد المآذن وظهور دكك للمؤذنين داخل المساجد، وتعدد[12] وظائف المؤذن؛ وفضلًا عن الأذان والإقامة أضيف التبليغ خلف الإمام، والتسبيح والتهليل والتكبير، وذكر حال الموت والقيامة، ومدح النبي ﷺ ، وإنشاد السَّحريات والفجريات والقصائد والمواعظ، ... صار هناك عدد من المؤذنين داخل المسجدويتوقف هذا العدد بحسب عدة عوامل، ويُ ذكر بحسب وثيقة السلطان حسن أنه كان بالجامع اثنان وثلاثون[13] مؤذّنا حَسَنُو الصوت يرأسهم رئيسان "ريسان" مأمونان عالمان بالمواقيت، يعملون على نوبتين، كل نوبة رئيس وستة عشر مؤذّنا. وتمثل الوثائق[14] المملوكية مصدراً ثريًّا بالمعلومات عن المئذنة ووظائفها والمؤذنين وواجباتهم وحقوقهم.

نشأة المئذنة

المساجد الأولى في الإسلام لم تكن لهائفنة، وكان يُ رفع الأذان للنداء للصلاة من أعلى أسطح المنازل المجاورة للمسجد، ويؤكد ذلك ما رُوي عن امرأة من بني النجار: أن بلالًا كان يؤذن للفجر من أعلى بيتها[15]، لأنه كان أطول بيت حول المسجد، ثم أصبح الآذان يرفع من أعلى سطح المسجد.

أما أول مئذنة مبنية مستقلة في العمارة الإسلامية، فتختلف النظريات حولها وفقاً لاستقراء بعض الروايات التاريخية، وهي كالآتي:

أن أول مئذنة مستقلة بنيت في المسجد النبوي بالمدينة في عهد الخليفة عثمان بن عفان[16] ﷺ استنادا لرواية المؤرخ يحيى بن الحسين (1035–1080هـ/1625–1669م تقريباً) في

غاية الأماني[17]؛ ويؤخذ على هذا الرأي[18] استناده لرواية ينفرد بها مؤرخ من أبناء القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي. وهناك الرأي القائل بأن أقدم ذكر لمئذنة مبنية في المصادر التاريخية هو رواية البلاذري (ت 279هـ/892م) في كتاب فتوح البلدان عن بناء مئذنة جامع البصرة[19]، حيث ذكر البلاذرى نقلاً عن الوليد بن هشام بن قحذم: "لما بنى زياد جعل صفة المسجد خمس سوارٍ وبنى منارته بالحجارة"[20] ، يقصد بناها والي العراق زياد بن أبيه سنة 45هـ/665م عند تجديده للجامع الذي بُني سنة 14هـ/635م[21].

يلي مئذنة جامع البصرة مآذن الجامع العتيق بمصر[22] (جامع عمرو بن العاص بالفسطاط) حيث أمر الخليفة معاوية والي مصر مسلمة ببناء[23] أربع مآذن "صوامع، جمع صومعة" في أركان المسجد الأربعة (53هـ/673م).

والقول في نشأة المئذنة هل هي تطور معماري إسلامي محض بعيد عن تأثير أبراج الكنائس السورية، أم تأثرت عمارتها بأشكال هذه الأبراج؟ تناولته دراسات عديدة عربية وأجنبية[24]. وليس من أهداف البحث مناقشة هذه القضية؛ ولكن أود أن أؤكد في هذا الصدد نقطتين ذواتي أهمية ، ولهما ما يؤكدهما من شواهد العمارة والفنون الإسلامية، وهما:

- لا حرج في اقتباس[25] عنصر معماري لأداء وظيفة ما في العمارة الإسلامية؛ وقد يتم تعديله أو تطويره وفقاً لمتطلبات الوظيفة، أو التطور الطبيعي للعمارة والفنون وفق المستجدات.
- أن المحدد الفصل في تفسير التخطيط والعناصر المعمارية هو الوظيفة[26]، وهذا العامل يفسر لنا هذه القضية، ويحل هذه الإشكالية.

الشكل والوظيفة والبعد التعبيري والبعد الاقتصادي والبعد الفقهي المعماري للمئذنة

ثمة عدة أبعاد أو أوجه لحيثيات دراسة العمارة الإسلامية تتمثل في الوظيفة والشكل والبعد الاقتصادي والبعد الفقهي المعماري والبعد التعبيري.

1. المئذنة والشكل(البُعد المِعْمَاري الزُخْرفِي)

يمثل هذا البعد في دراسة المآذن في العالم الإسلامي بشقيه الوصفي والتحليلي أكثَر الأبعاد التي حظيت بالدراسة[27]. وفي الحقيقة تمثل بقية أبعاد أو جوانب الدراسة (الوظيفة – البعد التعبيري – البعد الاقتصادي – البعد الفقهي المعماري) العوامل المؤثرة في صياغة البعد المعماري الزخرفي.

مآذن المساجد الأولى في الإسلام بصفة عامة كانت بسيطة في التخطيط والتصميم المعماري، والمُرجح أنها كانت غُفلاً من الزخرفة، وأنشئت المئذنة بهدف تأدية الوظيفة الرئيسية بصورة مباشرة ومفردة.

تطور شكل المئذنة من كتلة بنائية بسيطة الاتفاع أعلى جدار مسجد الرسول ﷺ إلى كيان معماري مستقل مرتفع، على الأرجح مربع الشكل، يرقى إلى قمته المؤذن بواسطة درج

خارجي (أقتاب) بإحدى جهاته[28].

تتفق كتابات المؤرخين والدراسات الأثرية على أن أقدم مئذنة باقية طبقاً للأدلة التاريخية[29] هي مئذنة جامع القيروان[30] (ارتفاع 18.87متر، لوحة 1، شكل 1 "ر") من أعمال الوالي بشر بن صفوان (105-109هـ/724-729م).

وتعكس أقدم المآذن الباقية بين شرق العالم الإسلامى (منارة قصر الحير الشرقي "حوالي 110هـ/730م" ببلاد الشام[31])، وغربه (مئذنة جامع القيروان)، ومصر (مآذن جامع عمرو بن العاص[32] طبقاً للروايات التاريخية) أن الكوين المربع للمئذنة مثّل النموذج للمآذن في العمارة الإسلامية المبكرة، وانتشر هذا الشكل من المآذن في الشام والجزيرة العربية وإيران[33] ومصر وشمال أفريقية والأندلس[34]،واستمر هذا الطراز من عمارة المآذن مميزاً لمآذن شمال أفريقية والأندلس بصفة خاصة والمعروفة باسم الصومعة[35]، ومنها مآذن الجامع الكبير بصفاقس (235هـ/849م، وتمت تعلية المئذنة فى سنة 378هـ/988م، لوحة 2) ، والكتبية بمراكش (580-595هـ/ 1184-1198م[36]، لوحة 3)، والجيرالدا (في الأصل مئذنة المسجد الكبير بأشبيلية، 580هـ/1184م، وتحولت المئذنة إلى برج للأجراس بإضافة قمة جديدة سنة 1568، لوحة 4) بأشبيلية، جامع حسان بالرباط (593هـ/1197-1198م، شكل 1 "أ" لوحة 5). وأصبحت المئذنة بتكوينها المربع المميز رمزاً لمآذن بلاد المغرب العربي حتى في منشآتهم التنافسية الحديثة، كما نجد فى التحفة المعمارية مسجد الحسن الثاني (1993م) بالدار البيضاء بالمغرب، ومئذنته بارتفاع 210م[37].

ويلاحظ مع بدايات العصر العباسي ثمة مرحلة جديدة تتسم بابتكار أشكال جديدة للمآذن؛ فظهرت طرز إقليمية عكست الموروث الحضاري لكل إقليم، وخبرات أهل الصنعة فيه من المهندسين والبنائين، وأثر توافر مواد خام معينة على تقنيات البناء، فضلاً عن تأثير المناخ والبيئة، فظهرت في العراق المآذن الملوية بجامعي سامراء (234-237هـ/848-852م، ارتفاع 53م، لوحة 6) وأبو دلف (245-247هـ/859-861م، لوحة 7) وانتقلت عنهما لمسجد أحمد بن طولون (263-265هـ/876-879م) بمصر (شكل 1 "ف"، لوحة 8).

ونستطيع بعد ذلك وعلى مر القرون التمييز بين تصميمات المآذن المختلفة باختلاف الأقاليم والعصور؛ والثابت أثرياً أن تفاصيل تصميم المئذنة اختلف، ليس فقط من إقليم لإقليم، أو من عصر لعصر، بل ومن مدينة لأخرى، بل وداخل المدينة نفسها. فهناك أكثر من قاعدة أو محدد لتصنيف المآذن: الأول بحسب الإقليم وتتبع تطورها داخل الإقليم تاريخيًّا، ويمكن وفق هذا المحدد دراسة مآذن مصر (لوحة 9، 13-33، 35-37)، والشام، واليمن (لوحة 34، 42-47)، وإيران (لوحة 50-51، 56)، والأناضول (لوحة 39)، والهند (لوحة 60-63)، وجنوب شرق آسيا والصين (لوحة 11-59)، وشرق وغرب أفريقية (لوحة 64،12-66)، بالإضافة إلى شمال أفريقية (لوحة 1-7). ويمكن تصنيف المآذن بحسب محدد آخر يتمثل في العصور أو الأسرات الحاكمة، وبحسب

هذا المحدد فتقسم طرز المآذن إلى المآذن الأموية (لوحة 1)، والعباسية (لوحة 7-9)، والفاطمية (لوحة 13-16)، والأيوبية، والمملوكية (لوحة 21-27)، والسلجوقية (لوحة 10)، والمغولية (لوحة 60-61)، والمآذن العثمانية (لوحة 67، 72-81). وبالطبع ثمة تداخل واضح بين كلا نوعى التقسيم وفق المحددين سالفى الذكر، فضلاً عن التأثيرات المتبادلة بين هذه الطرز من المآذن.

ويعنينا هنا في المقام الأول أن مآذن كل إقليم أو عصر تشترك في مجموعة من الخصائص المحددة، والتى جعلتها متشابهة فيما بينها، ومتمايزة عن مآذن الأقاليم أو العصور الأخرى في ذات الوقت؛ وهذا ما يمكن التعبير عنه بخصوصية الوحدة، ووحدة الخصوصية في تفسير طبيعة عالمية المئذنة، فعلى الرغم من الشكل العام للمآذن وبعض العناصر (بصفة خاصة قمة المئذنة والهلال، شكل رقم 1 "أ : ذ")، والوظيفة، وارتباطها بالمساجد، وتأثيرها في التشكيل البصري العام تقريباً واحد (مظاهر العالمية)، فإنها تمايزت من مكان لآخر (الخصوصية المحلية أو الإقليمية) استناداً لعوامل عدة (شكل رقم 1 "أ : ذ").

وليس هنا مجال دراسة رأسية أو أفقية لأي طراز من طرز المآذن، ولكن سنعرض لأهم خصائص العالمية للمئذنة من حيث الشكل، وكيفية تطبيقها في أرض الواقع في بيئات متباينة وفترات زمنية مختلفة، وأثر تباين هذه البيئات واختلاف الفترات الزمنية على شكل المآذن وعمارتها مع الاستدلال بنماذج أثرية لتوضيح الفكرة، وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أ- الارتفاع والبناء البرجي

ب- التخطيط والشكل المعماري

ت- مواد وتقنيات البناء

أ- الارتفاع والبناء البرجي

تمثل هيأة الكيان المعمارى المرتفع للمئذنة (سواء على شكل مربع أو أسطواني أو مخروطي) ما يجعله أشبه بالبرج السمة الرئيسية المشتركة للمآذن في شتى أنحاء العالم، ولا شك أن هذه السمة تمثل واحدة من مظاهر العالمية للمئذنة.

مثّل ارتفاع المآذن بصورة شاهقة سامقة في السماء، لاسيما مع رشاقتها ودقة بنائها وزخرفتها، مثار إعجاب المؤرخين والرحالة، فعبروا في كتاباتهم ووصفهم عن ذلك، وكذلك في رسوم الرحالة الأوربيين (لوحة 28-31).

ونورد هنا مثالاً لكتابات المؤرخين والرحالة عن مئذنة جامع السلطان حسن (757-758هـ/1356-1357م) بالقاهرة البالغ ارتفاعها من الأرض 84 متراً[38](المئذنة الجنوبية الأصلية، لوحة 28) فيذكر تغرى بردى: *"أن هذه المدرسة* ***ومئذنتها*** *وقبتها من* ***عجائب الدنيا***[39] *وهى أحسن بناء فى الإسلام"*، وذكر غيره من المؤرخين والرحالة المعنى نفسه[40] بعبارات مختلفة، ومنهم المقريزى، والظاهري، والنابلسي، والورثيلاني، ومن الأجانب بيتر ودي لافالليه (1616م)، ومسيو

تيفنو (1657م) وغيرهم كثير. ونورد وصف إيفليا جلبي (1611- 1682؟، ورحلته الأخيرة شملت مصر في الفترة 1672-1680م) الرحالة التركي لمآذن جامع السلطان حسن بالقاهرة بما نصه:

*"وللجامع مئذنتان **عاليتان** بنيتا على جدار جانبى المحراب. وسقطت المئذنة اليسرى فى عهد إبراهيم باشا الدفتردار، فبنى مئذنة جديدة على أساسها إلا أنها صارت أقصر من الأولى بطبقتين، وأما المئذنة اليمن **فشاهقة**، تنور بخمس طبقات من المصابيح، **وليست فى القاهرة مئذنة أعلى منه**[41]. يصعد عليها بتسعين درجة من داخل المسجد حتى باب السطوح، ثم يصعد إليها بتسعين درجة أخرى فى داخلها فمجموع درج السلم مائة وثمانون درجة[42] إلا أن كل درجة منها نصف ذراع معمارى. فقد صعدت إليها مرة، أنا الفقير، فمكثت ثلاثة أيام عاجزا عن الوقوف على ركبتى. إنها لمئذنة **شاهقة** تقابل طبقتها الوسطى، حسب القواعد الهندسية، عتبة باب القلعة الداخلية، فقياساً على ذلك يمكن معرفة مقدار ارتفاع القلعة ومبلغ جودة هوائها".*

وأصبح عامل الارتفاع بالنسبة للمآذن مبالغاً فيه بما يتجاوز الغرض الوظيفي الرئيسي وهو الإعلان للصلاة، لتؤدي دوراً تعبيريًّا أكثر منه وظيفيًّا. وأبرز المآذن الأثرية المشهورة بارتفاعها مآذن جامع محمد علي (1246-1265هـ/1830-1848م، لوحة35) بالقاهرة (بارتفاع 85 متراً من مستوى أرضية المسجد)، قطب منار[43] (595هـ/1199م- 626هـ/1229م، لوحة 54) بدلهي في الهند (ارتفاعها 73 متراً)، والكتبية (580-595هـ/1184-1198م، لوحة3) بمراكش (ارتفاعها 67,70 متراً).

ب- التخطيط والشكل المعمارى للمئذنة

التخطيط. يمكن تصنيف المآذن بصفة عامة إلى نوعين: 1- مآذن مستقلة Free-standing، 2- مآذن مدمجة أو ملحقة بالمساجد (وغيرها من الأبنية). وتنتشر نماذج النوع الأول بصورة كبيرة في المنشآت الدينية بشرق العالم الإسلامى، مثل المآذن السلجوقية[44] في إيران[45] (لوحة 50-51) والعراق (لوحة 48-49) والمآذن الإيلخانية ومآذن خراسان وغزنة وباكستان وأفغانستان[46] (لوحة 52-53،55) والهند[47] (لوحة54). ومن أشهر مآذن هذا النوع مئذنة جام بأفغانستان (587-594هـ/1191-1198م، لوحة 52)، ومئذنة قطب منار[48] (595هـ/1199م-626هـ/1229م، لوحة رقم 4) بدلهي في الهند، ومنار علاء الدين الخلجي[49] في الهند.

بينما انتشرت المآذن الملحقة بصفة عامة في بلدان المنطقة العربية، وشمال أفريقية والأندلس، والأناضول والبلقان.

وتخطيط المآذن إما مربعة أو أسطوانية أو مخروطية بالكامل، أو تتكون من عدة طبقات (طوابق) متماثلة المسقط أو متباينة المسقط.

المآذن المربعة كانت سمة المآذن فى العمارة الإسلامية المبكرة، وانتشرت في هذه الفترة المبكرة -كما سبق القول- في الشام والجزيرة العربية وإيران ومصر وشمال أفريقية والأندلس،

واستمر مميزاً لمآذن شمال أفريقية والأندلس على وجه الخصوص.

وارتبط الشكل المخروطي للمآذن بالعمارة في العراق وإيران وشبه القارة الهندية، وينطبق عليها ما ذكر عاليه عن المآذن المستقلة. والمآذن السلجوقية في الأناضول كذلك تأثرت بالمآذن ذات الشكل المخروطي، وتطورت عمارة المئذنة لتأخذ الشكل الأسطواني، والذى اعتمدته بعد ذلك العمارة العثمانية، وبلغت قمة تطور عمارة المئذنة العثمانية الأسطوانية في مآذن جامع السليمية (975-981هـ/ 1568-1574م، لوحة 67) بأدرنة من عمل المعمار سنان.

وتميزت مصر والشام واليمن بالمآذن متعددة الطوابق (الطبقات) حيث تتكون المئذنة عادة من قاعدة مربعة يعلوها طابقان (أو ثلاثة) يختلف مسقطهما بين المربع والمثمن والأسطواني (والأخيران بصورة غالبة في العصر المملوكي بالقاهرة[50])، ثم قمة المئذنة، وعادة تستدق المئذنة كلما اتجهت لأعلى (لوحة 21-27).

وجدير بالذكر أن ما سبق لا يعني بالضرورة اقتصار كل إقليم على نموذج محدد لتخطيط وشكل المآذن دون غيره، ولكن هذا ينسحب فقط على السمة الغالبة أو الأكثر انتشاراً بالقدر الذى يسمح باعتبار طراز ما للمآذن هو الأكثر شيوعاً في منطقة بعينها.

وتمثل المآذن في اليمن شاهدا على ما سبق، فرغم أن المآذن اليمنية[51] بصفة عامة تتسم بالبساطة، وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها جزء ثانٍ أسطواني (أحياناً مضلع) ينتهي في قمته بشرفة مستديرة يعلوه جوسق متوج بقبة (مثل مآذن المسجد الكبير **603**هـ/1206م لوحة 34، 46، وجامع الأبهر **1161**هـ/1748م لوحة 45 بصنعاء). وقد يفصل بين القاعدة المربعة والبدن الأسطواني بدن مثمن كمنطقة انتقال (مئذنة مدرسة صلاح الدين **1003**هـ/1595م لوحة 44 بصنعاء). وهناك مئذنة تبدأ من قاعدتها بمسقط مضلع وتستمر بنفس المسقط حتى قمتها، وفي الجزء العلوي من المئذنة تستدق بصورة خفيفة (مئذنة العيدروس بعدن **890**هـ/1485م وتمثل أنموذجاً فريداً لوحة 43) ؛ إلا أننا نجد في اليمن كذلك طرزاً متنوعة من المآذن، فطراز مآذن مدينة صنعاء اختلف عن بقية المدن اليمنية، مثل: تعز، وعدن، وزبيد، وحيس، وحضرموت، وسيئون، وشبام، وجبلة، وآب وزمار وغيرها فكل مدينة من هذه المدن كان لها نمطُ خاصٌ في بناء المآذن[52]. فهناك المآذن المخروطية وهي متأثرة بالمآذن الغزنوية والسلجوقية، وأهم نماذجها مئذنة "المنارة"وهي أحد أهم معالم مدينة عدن، وتقوم على قاعدة منخفضة مربعة تقريباً ، وتتخذ شكلا مخروطيا، وهناك عدد من مآذن عصر بني رسول تتبع نفس التصميم "المخروطي". وهناك مآذن مربعة المسقط بالكامل ويصل ارتفاعها حتى 40 متراً بارتفاع 8 طوابق (مئذنة مسجد طه وسط مدينة سيئون، لوحة 47)[53].

وتمثل المئذنة الأسطوانية العثمانية أنموذجاً ممتازاً يعكس طبيعة عالمية انتشار هذا العنصر المعمارى من ناحية الشكل. وتتميز المئذنة العثمانية ببدنها الأسطواني الرشيق الذي

يستدق بمهارة شديدة مع الارتفاع وتنتهي بقمة مخروطية تشبه رأس القلم؛ ولذا عرفت بالمئذنة "القلمية". والمئذنة العثمانية بسيطة في التكوين غفل من الزخرفة –خاصة إذا ما قورنت بالمآذن المملوكية والسلجوقية والمغربية– وتستمد خصوصيتها من رشاقتها، وارتفاعها الشاهق، وقمتها القلمية ، وشكلها الثابت الذي حافظت عليه إلى حد كبير (لوحة 67).

ويمثل انتشار المئذنة العثمانية (لوحة 35، 67، 72–81) في العالم الإسلامي الذي خضع لسيطرة وحكم الدولة العثمانية ثلاث حالات تعكس طبيعة سياسة وتطور تاريخ الدولة العثمانية، وذلك على النحو الآتي:

1– الأناضول وتركيا والبلقان وجزر البحر المتوسط وبحر إيجة والبحر الأيوني

2– مصر والسودان وشمال أفريقيا وبلاد الشام والجزيرة العربية (الحجاز)

3– اليمن

في الحالة الأولى تمثل المئذنة العثمانية الطراز السائد (مع وجود بعض الاستثناءات)، وعلة ذلك أن هذه الأراضي باستثناء الأناضول –لوجود السلاجقة وإن مثلت العمارة السلجوقية أحد أهم الأصول للعمارة العثمانية– فتحتها الدولة العثمانية واستقر لها الحكم لفترة زمنية طويلة انعكست على ازدهار العمران، وكانت الدولة العثمانية أول حكم إسلامي مستقر في هذه البلدان فمثلت العمارة العثمانية أول طراز معماري إسلامي فيها.

وفي الحالة الثانية تزخر هذه البلدان بموروث إسلامي محلي قوي وذي جذور عميقة (العمارة المملوكية فى مصر والشام والحجاز، والمغرب الأندلس)، ومن ثم استمر التراث المعمارى المحلي له الغلبة في هذه الأقطار؛ فنجد أن المئذنة المملوكية[54] استمرت بتكوينها المعمارى طوال العصر العثماني (مئذنة جامع البرديني 1038هـ/1629م، مملوكية الطراز والتصميم مع بعض الملامح العثمانية، لوحة 82). ولم يمنع ذلك وجود المئذنة العثمانية إلى جانب المئذنة مملوكية الطراز، كما ظهرت المئذنة المملوكية الطراز (قريباً) بالقمة القلمية العثمانية – فى الغالب تمثل إضافةً أو تجديداً– ما أدى لغلبة المآذن ذات القمة العثمانية في القاهرة[55]. وقد عبر الرحالة التركي إيفليا جلبي عن هذا التأثير بوصفه للمآذن عثمانية الطراز في القاهرة بأنها مآذن على الطراز الإسلامبولى والرومى وطراز الجوامع التركية[56].

وفي الحالة الثالثة نجد في اليمن –رغم خضوعها للدولة العثمانية– إلا أن مآذنها في العصر العثماني لم تتأثر بالمئذنة العثمانية القلمية؛ بل ظل الطراز المحلي اليمني مستمرا في حالة استثنائية من بين البلدان التى حكمتها الدولة العثمانية، وفي المقابل لم تخل المآذن اليمنية من تأثيرات مختلفة، منها العباسية والسلجوقية والأندلسية والمصرية.

ومن الواضح أن هذه الحالات الثلاث لانتشار المئذنة العثمانية عكست واقع سياسة الدولة العثمانية ونسبية مدى تغلغل نفوذها في هذه البلدان وتقبل أهالي البلدان للحكم العثماني،

فضلا عن تفاعل الموروث المحلي في هذه البلدان مع الطراز العثماني الوافد، ولا يزال تتبع هذه الظاهرة يحتاج لمزيد من البحث في تاريخ الدولة العثمانية وآثارها المعمارية في هذه الأقطار.

قمة المئذنة. تمثل قمم المآذن أحد أهم الوحدات التي أضفت صفة الوحدة والعالمية على المآذن من حيث الشكل (شكل 1) وتشرح في ذات الوقت بصورة واضحة تنوع هذه الوحدة وفقاً لمحدد زمنى (تاريخي) أو جغرافي.

تمثل قمة (خوذة[57]، جربوش[58]) المآذن التي تأخذ شكل قوس أو عقد نصف دائري في القطاع الرأسي لقمم المآذن (سواء كانت القمة على شكل قبة، مبخرة[59]، قلة، شكل كمثرى)، بالإضافة للقمة المخروطية، والهلال المثبت أعلى القمة القاسم المشترك لمعظم قمم مآذن العمارة الإسلامية في العالم بأسره.

وشكل الهلال أعلى قمم المآذن (شكل 1) يمثل القاسم المشترك -تقريباً- في جميع المآذن في العالم، والهلال في الغالب مصنوع من النحاس، مثبت على جامور يشتمل على تفاحات (المآذن المملوكية، والحفصية والمرينية في بلاد المغرب، والعثمانية) وقد يكون الهلال نتيجة تصميم القمة بصورة إنشائية تأخذ شكل الهلال، كما هو في العمارة الفقيرة التقليدية في أفريقيا. ومن المرجح أن وحدة الهلال كعنصر أعلى المآذن انعكاس لعامل آخر من عوامل الوحدة الإسلامية وهي التقويم الهجرى (القمرى) ويرتبط به جميع المسلمين فى الصيام فى رمضان والأيام القمرية (المعروفة بأيَّام البيض من كل شهر)، والأعياد. وتفسير ارتباط الهلال بالمئذنة في سياق أن المئذنة استخدمت لاستطلاع الهلال[60] في رمضان والأعياد، نظرا لارتفاعها، مقبولُ ومنطقي، ويضيف لوظائف وأدوار المئذنة وظيفة جديدة.

وتمثل ظاهرة قمم المآذن متعددة الرؤوس المرتبطة بمآذن نهاية الدولة المملوكية الجركسية في القاهرة (عصر السلطان الغوري وأمرائه، لوحة 27، 32) -كما سبق ذكره- شاهداً أثرياً على تنوع وحدة عنصر قمة المئذنة وفقاً لمحدد تاريخي وجغرافي، وجدير بالذكر أن هذه المآذن متعددة الرؤوس شملت -إلى جانب المآذن الجركسية المعروفة[61]- مئذنة جامع محمد بك أبي الذهب[62] (1188هـ/1774م، لوحة33) في العصر العثماني، وكانت قمة المئذنة تتكون من خمسة رؤوس[63] تطايرت، وبقيت قواعدها فوق الجوسق على هيأة خمسة قدور، ما يعطي دلالة للرابط المشترك بين النماذج المملوكية صاحبة هذه الخاصية المعمارية، والنموذج العثماني في محاولة إحيائها، والظاهر هو التأثير المكاني لموقعه أمام الجامع الأزهر وعلى بعد خطوات من مدرسة الغوري، ويمكن تفسير ذلك في سياق البعد التعبيري كدلالة لاستعادة نفوذ المماليك وأن أبا الذهب استمرار للسلطان الغوري.

والظاهرة الأخيرة التي تتعلق بالشكل تتمثل في **تعدد المآذن**. تعود ظاهرة تعدد المآذن لفترة مبكرة؛ حيث تؤكد الروايات التاريخية وأقدمها ما أورده ابن عبد الحكم (ت 257هـ/ 967م،

كتاب فتوح مصر وأخبارها) من أن الوالي مسلمة بن مخلد (53ه/673م) أمر ببناء أربع[64] صوامع (منارات) في أركان جامع عمرو بن العاص. وأنشئت في عهد الوليد بن عبد الملك (86-96ه/705-715م) أربع[65] مآذن في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وفي الجامع الأموي بدمشق. والمرجح أن تعدد المآذن في هذه الفترة المبكرة كان لغرض وظيفي، بحيث يصل الأذان لجميع الجهات حول الجامع، وارتبط ذلك بالتأكيد بتعدد المؤذنين، وفي ذات الوقت لتمييز المسجد الجامع الذي تقُام فيه الصلوات الجامعة. وفي العصر المملوكي ارتبط تعدد المآذن كذلك باعتماد الأذان السلطانى كما سبق القول، ولكن يمكن القول إن انتشار ظاهرة تعدد المآذن بصفة عامة ارتبط بالبعد التعبيري بصورة أكثر –سنشير إليه فى البعد التعبيري– واشتهرت ظاهرة تعدد المآذن بصفة خاصة في الهند وإيران والمساجد العثمانية السلطانية.

وتمثل عمارة المساجد وأيضا الأضرحة في الهند شاهدا أثريا على ظاهرة تعدد المآذن؛ حيث ارتبطت بوظائف وأدوار أخرى فضلا عن الأذان، لعل أهمها تدعيم البناء في مستوياته المتصلة بجدران المسجد، فنجد أن أغلب المساجد في الهند تحتوي على عدد زوجي من المآذن 2 أو 4 أو 6 مآذن تكتنف أركان المسجد جميعها، أو ظلة القبلة، أو الصحن، مع الاهتمام بواجهة ظلة القبلة المطلة على الصحن، ولم تقتصر هذه الظاهرة على المساجد وإنما انعكست على منشآت أخرى أهمها الأضرحة، حيث تكتنفها عادة أربع مآذن[66] بزوايا البناء الأربعة، مثل ضريح تاج محل(لوحة 60)، وضريح اعتماد الدولة بأجرا (لوحة 61).

فنجد بالمساجد عادة أربع مآذن بزوايا ظلة القبلة –أو أربعة أبراج بزوايا ظلة القبلة– وأحيانا تزيد مئذنتان أخريان –لتصبح بذلك ست مآذن– تكتنفان مدخل ظلة القبلة من الصحن مثل المسجد الجامع في شامبانير (906هـ/1500م) ومسجد برطاق بعليكرة (1235هـ/1826م)، أو من الخارج، مثل المسجد الجامع بأجرا[67] (1056هـ/1648م) وجامع إبراهيم في حيدرآباد (لوحة 63)، أو بزوايا صحن المسجد، مثل المسجد الجامع بعليكرة[68] (1152ه/1739م) ومسجد وزيرخان في لاهور[69] (1053ه/1643م)، أو مئذنتان –فضلاً عن الأبراج الأربعة بأركان المسجد– على جانبي واجهة ظلة القبلة المطلة على صحن المسجد، مثل المسجد الجامع بدهلي (1045هـ/1641م، لوحة 62)، أو تقتصر على هاتين المئذنتين على جانبي واجهة ظلة القبلة المطلة على صحن المسجد مثل مسجد فتحبوري بيجم بمدينة شاهجهان آباد شمال دهلي (1054ه/1650م)، ومسجد زينة المساجد[70] "غاتا مسجد"بدهلي (1122هـ/1710م). والتكوين المعماري الغالب لهذه المآذن (المنارات) يتكون من طابقين كل منهما ذو مسقط مثمن –وأحياناً طابق واحد– يعلوهما جوسق مثمن، كذلك يعلوه خوذة بصلية الشكل، وتختلف عن هذا التصميم مئذنتا مسجد فتحبورى بيجم[71] ومئذنتا مسجد زينة المساجد بدهلي، فتتكون من أربعة طوابق مثمنة من الحجر الأحمر تستدق لأعلى ومتوجة بخوذة ذات قطاع مدبب مفصص في مسجد

فتحبوري وخوذة بصلية الشكل في مسجد زينة المساجد، وتتميز كذلك مآذن ومسجد برطاق بعليكرة (1235هـ/1826م) بتصميم فريد؛ فهي متماثلة، كل منها مكون من طابقين مضلعين وجوسق متوج بقبة، والجديد هنا أن تضليعات بدن المئذنة بارزة، ذات قطاع نصف مستدير كذلك، وينتهي كل ضلع منها في الطابق الثاني بأشكال جواسق صغيرة مثمنة مغطاة بقباب مدمجة في بدن الطابق[72].وتستخدم هذه المنارات فضلاً عن الآذان، لتدعيم البناء في مستوياتها المتصلة بجدران المسجد، واستخدمت أيضاً استراحات (مقاعد) لشيوخ المدرسة وزوارها من الأساتذة والعلماء، وبعضها كتاتيب لتحفيظ القرآن[73].

ت- المئذنة ومواد وتقنيات البناء

تمثل المواد الخام وتقنيات البناء أحد أهم العوامل التي تميز مآذن كل إقليم أو كل مدرسة معمارية -إذا صح التعبير- عن غيرها، كما أنها تعبر عن ثقافة البناء في فترة زمنية ما.

والمآذن في المساجد الأولى كانت مبنية من الطوب اللبن. وأول مئذنة تبنى من الحجر في ضوء الروايات التاريخية هي مئذنة جامع البصرة سنة 45ه/ 665مكما أشرنا سابقاً .

ونجد الطوب اللبن والآجر والحجر تمثل مواد البناء الرئيسية للمآذن، واستخدام هذه المواد مقرون بصورة كبيرة بحسب انتشار استخدامها فى البناء بصفة عامة، وهذا يتباين ليس فقط من قطر لقطر أو من مدينة لمدينة، بل وداخل المدينة نفسها يختلف من فترة زمنية لأخرى. فعلى سبيل المثال نجد أن مادة الآجر -على الأغلب منذ بداية العصر العباسى- كانت المادة الرئيسة[74] لبناء المآذن في مدينة القاهرة حتى بداية العصر المملوكي تقريباً، ثم ساد البناء بالحجر[75] خلال العصر المملوكي، واستمر في العصر العثماني[76]. في حين أن المآذن في الدلتا[77] المصرية مبنية من الآجر (لوحة 17-18)، والبناء بالطوب اللبن في مناطق الواحات[78] بصحراء مصر الغربية (لوحة 20)، والبلاد الصحراوية في شمال أفريقية، وهذا مرتبط كذلك بالبعد الاقتصادي كما سنشير إليه لاحقاً .

ونجد كذلك استخداماً مزدوجاً للمواد الخام في البناء، وهذا شائع أكثر في البناء بالحجارة والآجر، ويكون السبب في الغالب لضرورة إنشائية، مثل بناء الأجزاء العلوية من الآجر لتخفيف الأحمال، ولسهولة استخدام الآجر مقارنة بالحجر في التغطية والعقود والزوايا.

وفى اليمن استُخدم الحجر في بناء مآذن منشآت مدن صنعاء وتعز وزبيد وإب، بينما استخدم الآجر لبناء مآذن عمائر جبلة وعدن (لوحة 43)، واستخدم الطوب اللبن والنورة[79] في بناء مآذن حضرموت وسيئون.

واستُخدمبنسب متفاوتة زمنياًومكانياً كذلك الخشب والرصاص والحديد والنحاس، حيث استخدم الخشب في بعض شرفات المآذن المملوكية، واستخدم الخشب والرصاص بصفة خاصة لقمم المآذن العثمانية، واستخدم الحديد لعمل دعامات أو سلالم داخلية، وإن كان على

طاق ضيق وحديث نسبياً ، وبينما يمثل النحاس المادة الخام الأقل استخداما في المئذنة حيث يُ صنع منه الهلال أعلى قمة المئذنة، إلا أنه يمثل القاسم المشترك الأوسع انتشاراً بين غالبية مآذن العالم الإسلامى.

وتمثل كذلك التكوينات الزخرفية والكتابية والمنفذة بمواد خام متباينة، مثل الآجر والقاشاني أو البلاطات الخزفية أو الحجر أو الجص أحد المحددات فى تمييز أشكال المآذن من منطقة لأخرى ومن فترة زمنية لأخرى.

كما تفسر تقنيات البناء، وبعض العناصر والمفردات المعمارية، والتشكيلات والوحدات الزخرفية حقيقة التأثير والتأثر بين مآذن العالم الإسلامى بعضها وبعض من جهة، وبينها وبين آثار الحضارات الأخرى من جهة ثانية.

مئذنة نافبكتوس[80] (القرن 10هـ/16م، التي أعيد بناؤها 1113هـ/1701-1702م) -تعرف بمئذنة الوزير، وتقع بالقرب من قلعة نافبكتوس بمدينة وميناء باليونان، للأسف تهدم الجامع بالكامل ولم يتبقَّ سوى قاعدة المئذنة- أنموذج ممتاز لتوضيح فكرة طبيعة عالمية المئذنة كعنصر معماري أو كظاهرة معمارية دالة وكيفية التطبيق ضمن بيئات متباينة. فنجد أن المئذنة -الجزء المتبقي منها- منفذ بتقنية بناء بيزنطية محلية (لوحة 68). وهذه التقنية تعرف في فن العمارة البيزنطية بالcloisonné ، وهي عبارة عن إحاطة كل قطعة حجر ببلاطة من الآجر من جميع الجهات، وهذه التقنية تميز العمارة البيزنطية اليونانية[81]، واستمر تأثيرها في بعض نماذج العمارة العثمانية في اليونان.

وأُجمل القول في عمارة المآذن من حيث الشكل (Form) أن المئذنة تمثل أهم ملمح مادي ثلاثي الأبعاد يعكس صفة عالمية الحضارة الإسلامية بصفة عامة، والعمارة الإسلامية وعمارة المساجد بصفة خاصة، ورغم الوحدة في أصل النشأة والوظيفة؛ فإنه مع اتساع الدولة الإسلامية، ثم تعدد الدول الإسلامية في بيئات مختلفة ذات إرث معماري وحضاري ومواد خام وخبرات بناء وظروف مناخ متباينة ظهرت طرز إقليمية متمايزة، وفي داخل كل إقليم استناداً لعوامل مؤثرة متعددة، ظهرت كذلك أنماط متعددة، وإن اشتركت في السمت العام في المجمل إلا أنها تختلف في التفاصيل، ونكرر أن هذا الإسقاط لمعنى العالمية حيث الملمح العام المشترك أو المنهج المشترك -إن صح التعبير- يمثل القاسم المشترك بين النتاج المعماري في كافة دول العالم الإسلامي، بينما تركت آلية التطبيق شاملة تفاصيل التخطيط والتصميم والزخرفة وتقنيات البناء ... بحسب طبيعة وشخصية وإمكانات كل إقليم بما ينعكس على هذا النتاج المعماري ويميزه من مكان لآخر بكل أريحية وطلاقة.

2. المئذنة والوظيفة

تمثل الوظيفة أحد أهم الأبعاد في دراسة العمارة الإسلامية بصفة عامة والمئذنة بصفة

خاصة، لأنها بصورة أو بأخرى تمثل عاملاً مؤثراً على الأبعاد الأخرى وإن كان ذلك التأثير بنسب متفاوتة.

نشأت المئذنة بغرض واحد رئيسي، وهو الإعلام بوقت دخول الصلاة عبر الأذان، وفى مرحلة لاحقة أصبحت علامة أو شارة يُستدل عبرها على موقع الجامع خاصة للغرباء، ثم تحققت للمئذنة دلالات أخرى لم تكن غاية في ذاتها، وإنما ترتبت ضمن النتائج المباشرة لانتشار عمارة المآذن بصورة عالمية؛ حيث أصبحت المآذن أكثر العناصر تأثيراً في إكساب مدينة ما (أو حي أو محلة) البعد البصري الإسلامي؛ حتى صارت رمزاً للإسلام والحضارة الإسلامية.

وزيد على الأذان ضمن وظائف المئذنة والمؤذن على السواء -كما ذكرت سابقاً- التسبيح والتهليل والتكبير، وذكر حال الموت والقيامة، ومدح النبي ﷺ ، وإنشاد السَّحَريات والفجريات والقصائد والمواعظ ... خاصة في شهر رمضان وأيام الجمع، وارتبط ذلك التطور الوظيفي كذلك بتطور معمارى للمآذن من حيث العدد والشكل[82]، وظهور دكك للمؤذنين داخل المساجد.

ومن أوجه ذلك التطور الوظيفي على سبيل المثال اعتماد الآذان السلطاني (أن يقوم به أكثر من مؤذن، على أن يأتي كل مؤذن بأذان كامل على انفراد) في الجوامع الكبرى في العصر المملوكي بالقاهرة، ويلبي تصميم وعمارة المئذنة المملوكية ذلك التطور عبر عنصرين رئيسين يتمثلان في تعدد المآذن (لوحة 33، 35-36) بالمنشأة من جهة، وتعدد الشرفات في المئذنة الواحدة (لوحة 21-26) من جهة ثانية[83].

وفضلاً عن الوظائف الأصلية للمئذنة المذكورة عاليه -والتى أدتها المئذنة على أكمل وجه نتيجة التكامل بين مكوناتها من حيث الشكل والبعد التعبيري بصفة والبعد الفقهي المعماري خاصة، كما سنشير إلى كل في موضعه- فثمة وظائف (أدوار) أخرى للمئذنة استجدت نتيجة عدة عوامل، أهمها موقع المآذن، وعمارتها (الشكل)، والبعد التعبيري الذى اكتسبته، ويمكن حصر هذه الوظائف والأدوار على النحو الآتى:

- أبراج مراقبة ووسائل اتصال
- منارات هداية السفن
- رمز أو شارة للقوة والتقوى (للمنشئين)
- دعاية سياسية-دينية

وتمثل المآذن المصرية فى صعيد مصر (لوحة 13-16)، أنموذجاً للمآذن التي قامت بدور أبراج مراقبة أو وسائل اتصال[84]، خاصة في أوقات الخطر والحروب، وذلك عبر استخدام إشارات ضوئية ليلاً أو دخانية أثناء النهار، وتتلقى كل مئذنة الإشارة عن سابقتها وتوصلها بدورها للمئذنة اللاحقة، وذلك من الجنوب إلى الشمال، حتى يتم توصيل الإشارة أو الرسالة

للعاصمة القاهرة فى أسرع وقت ممكن.

وتمثل مآذن الدلتا (لوحة 17-19) فى مصر أنموذجاً للمآذن التى قامت بدور منارة[85] لهداية السفن المارة بالنيل، وذلك من خلال موقع المآذن على النيل مباشرة، وارتفاعاتها الشاهقة التي تصل إلى 47 متراً من سطح البحر في مدن وقرى الدلتا مثل: أبو صير، سمنود، المنصورة، دمياط، فوه، رشيد، دسوق، ديروط بحري.

ومن الأدوار الأخرى للمئذنة كعنصر معماري أنها تعبر عن مظهر من مظاهر القوة والثروة، والإيمان والتقوى وحب أعمال الخير، والتنافس المعماري، وحب ذيوع الصيت وتخليد الذكر، وتنتهي دراسة عن دور المئذنة في مدينة صنعاء باليمن إلى أن دور المآذن تجاوز الوظيفة التقليدية لرفع الأذان والنداء للصلاة إلى كونها تعبيراً عن التقوى والإيمان، ومظهراً للقوة والقدْر العالي للُمنشئ[86]. ويقارنها في هذا السياق بأبراج العمائر السكنية التي ترسل نفس الرسالة من انعكاس للقوة والقدْر.

وتكوين مداخل المساجد والعمائر الدينية التي يكتنفها مئذنتان عاليتان يعكس هذا الدور (لوحة 38-41)، وتمثل مئذنتا جامع المؤيد شيخ (822-823هـ/11419-1420م، لوحة 37) أعلى برجي باب زويلة بالقاهرة أنموذجاً من أجمل النماذج للمآذن التي توحي بمظهر القوة والفخامة، والتأثير أو الانطباع الذى تتركه المئذنتان أعلى البرجين بضخامتهما وارتفاعهما وبنائهما الحجرى المنحوت المتقن بالقوة والفخامة، وقد دعا تكوين المئذنتين بهذه الصورة لأن يمدحهما[87] المؤرخون، ويكتب عنهما الشعراء الكثير حتى بعد تهدم المئذنة البحرية.

وتمثل المآذن المملوكية في مصر خير أنموذج لتوضيح تأثير البيئة التنافسية على تطور عمارة المآذن، والأدوار التعبيرية والدعائية غير المعلنة التي قامت بها المآذن، فيمكن أن نعتبر أن البيئة التنافسية (ضمن عمائر سلاطين وأمراء المماليك) كأحد العوامل المؤثرة[88] على ظاهرة تعدد رؤوس المآذن لعمائر القاهرة الدينية في العصر الجركسي (لوحة 27، 32-33)، وأيضاً الإبداع والتأنق في زخارف المآذن.

وتوجد ظاهرة أخرى تعكس دوراً آخر للمآذن يتمثل في تحقيق تخليد الذكر والأجر، وذلك على مستويين: الأول عن طريق إما بناء مئذنة جديدة أو تعمير واستكمال أجزاء لمئذنة قائمة بالفعل لجامع تاريخي شهير، مصحوباً أحياناً بتعمير الجامع أو بعض أجزائه. وتمثل نماذج هذا المستوى مئذنة السلطان لاجين (696هـ/ 1296م، لوحة 9) بجامع أحمد بن طولون، حيث آثر السلطان لاجين هدم المئذنة وإعادة بناء أخرى جديدة[89]، وعدم ترميمها؛ ومن هنا عرفت بمئذنة السلطان لاجين وليست مئذنة ابن طولون شأن بقية الجامع رغم تجديده وتعميره للجامع. وكذلك مآذن قايتباي (873هـ/1469م) والغوري (915هـ/1510م) بالجامع الأزهر (لوحة 33).

والمستوى الثاني يتمثل في حب عمل الخير –الرغبة الظاهرة– مع عدم القدرة على بناء

جامع جديد بالكامل، أو الإكثار من عمل الخير في حالة القدرة وعمل أعمال عديدة، فيقوم ببناء مئذنة لبناء قديم قائم بالفعل، مثل مئذنة الأمير يشبك من مهدى (883هـ/1478م) لمسجد وضريح الإمام الليث بن سعد[90].

ويمكن تفسير هذا الدور للمئذنة بمستوييه أحد تفسيرين باختلاف كل حالة على حدة؛ التفسير الأول فقهي؛ حيث يمثل بناء المساجد والمساهمة في بنائها وتعميرها أحب الأعمال إلى الله، وتدخل في باب الصدقة الجارية لصاحبها بعد وفاته، ويؤكد ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

والتفسير الثاني دِعائى؛ حيث إن بناء أو تجديد مئذنة لبناء قديم قائم –حبذا لو شهيراً– يمثل أسرع إنجاز معماري بأقل تكلفة يحقق شهرة لصاحبه، وهذا يعبر عنه في فن الدعاية السياسية الحديثة بإنجاز سريع قليل التكلفة يشبع احتياج أكبر شريحة ممكنة؛ وهذا يكون مطلوباً بشدة لأي سياسي أو حكومة جديدة في مرحلة البداية على وجه الخصوص، ويمكن تفسير بناء السلطان لاجين لمئذنة جامع ابن طولون، وتعميره للجامع في هذا السياق، وتكمن مشكلة هذا التفسير فى صعوبة اثباته.

ومجمل القول في المئذنة والوظيفة أن الوظيفة الأساسية للمئذنة ككيان معمارى مرتبط بالمساجد (سواء بشكل متصل أو مستقل) متمثلة في رفع الأذان وتوصيله من علٍ لأكبر دائرة ممكنة للإعلام بوقت دخول الصلاة –فضلاً على أن وقوف المؤذن على المئذنة المرتفعة في ذاته إعلان مرئي في ذاته للإعلام بوقت الصلاة لمن لا يتمكن من سماع الأذان من بعيد– هي السمة التي أكسبت المئذنة صفة العالمية، ومع ذلك فقامت المئذنة بوظائف وأدوار أخرى متباينة من مكان لآخر، ومن فترة زمنية لآخرى. بكلمات أخرى تتحقق عالمية المئذنة من حيث الوظيفة بحسب الوظيفة الرئيسة لها، وفي ذات الوقت لم تمنع هذه العالمية وجود خصوصيات محلية في توظيف المئذنة لوظائف وأدوار أخرى في مناطق عدة بحسب عدة عوامل تختلف من منطقة لمنطقة ومن عصر لعصر.

وتمثل مساجد بعض الفرق الإسلامية، مثل الزيدية والإباضية استثناء لقاعدة ارتباط مساجدها بالمآذن المرتفعة للإعلان للصلاة، ورغم أن هذه الشريحة لا تؤثر على عالمية عنصر المئذنة لأنها انعكست على عمارة بعض المساجد وليس كل المساجد لكلتا الطائفتين على سبيل المثال، ولفترات زمنية محددة، وفي أماكن بعينها، وسنناقش ذلك بالتفصيل في البعد الفقهي المعماري للمئذنة كعنصر معماري مرتبط بعمارة المساجد على وجه الخصوص.

3. المئذنة والبعد التعبيري

تُمثل المآذن واحداً من أهم عناصر التشكيل البصري للمدينة الإسلامية (لوحة 82–83) بل نستطيع أن نقول في هذا الإطار إنها الأكثر تأثيراً عبر انتشارها في إكساب مدينة ما البعد

البصرى الإسلامي.

ومن هنا صارت المدن تعرف بمآذنها، فاشتهرت القاهرة (لوحة 83) بمدينة الألف مئذنة (أو مدينة المآذن[91]). ودعا وجود المساجد والمآذن العثمانية الطراز في جزر بحر إيجة (جزيرة ميتليني) والبحر المتوسط (جزيرة كريت، لوحة 74) لظهور مصطلح "العثمنة" أو "Ottomanization" أي الصبغة أو المظهر العثماني[92] للمدينة أو الجزيرة.

والمئذنة بهذا الدور التعبيرى صارت رمزاً للمدينة الإسلامية، ثم للحضارة الاسلامية واتسعت دلالتها التعبيرية لتصير رمزا للإسلام ؛ وفي المقابل نجد هدم المآذن وحظر بنائها لطمس صبغة إسلامية تاريخية كانت موجودة بالفعل، أو عدم إكساب واحدة جديدة في العصر الحديث[93].

وفي هذا السياق نفسر هدم المآذن في الأندلس (أسبانيا) ودول البلقان[94] بعد خروجها من تحت مظلة الحكم الإسلامي (أسبانيا في نهاية القرن 15م بسقوط غرناطة سنة 1492م، والبلقان في بدايات القرن 20م) حيث عمدت القوى الحاكمة الجديدة –باستثناء بعض المناطق وبعض النماذج النادرة (لوحة 75–81)– سواء كانت مسيحية أو شيوعية إلى هدم الآثار الإسلامية عامة والمآذن بصفة خاصة، واختصت الأخيرة بالهدم الكامل في أغلب الأحوال لكونها رمزاً وعلامة مميزة للإسلام والمساجد، فأرادت بذلك مسح الصبغة الإسلامية للمدينة، وحذف جزء من تاريخها وهويتها استمر في معظم هذه الأماكن فترة تقارب خمسة قرون. وينطبق هذا الوصف على مدن قرطبة[95] وغرناطة وأشبيلية والزهراء (الأندلس)، ثيسالونيكي (لوحة 72–73) وسيرس (اليونان[96])، وصوفيا (بلغاريا[97])، تيرانا (ألبانيا[98])، سراييفو[99] (البوسنة والهرسك)، وبلجراد (صربيا)، وبوخارست (رومانيا[100])، وكيشيناو (مولدوفا)، وبودابست (المجر[101]) ...

وتمثل المدن اليونانية شاهدا على مسح الصبغة المعمارية الإسلامية والتي اكتسبتها عبر قرون من الوجود العثمانى؛ فنجد مدينة أثينا والتي لم يتبقَّ بها مئذنة واحدة من عشرات المآذن التي نراها في تصاوير الرحالة وتسجلها كتاباتهم، ومدينة ثيسالونيكي شمال اليونان لم يتبقَّ غير مئذنة غير كاملة من مئات المآذن[102] (لوحة 72–73)، ومدينة سيرس شمال اليونان لم يتبقَّ بها أي مئذنة من مئات المآذن ... إن هدم المآذن كان متعمداً وممنهجاً حتى تختفي الصبغة الإسلامية البصرية للمدينة، ولم يعلم هؤلاء المخربون أنهم يهدمون تراثاً إنسانيًّا عالميًّا وليس مجرد مبانٍ تخصهم أو تخص حتى من بنوها.

وتمثل دلالة المئذنة التعبيرية كرمز للإسلام عبر انتشارها كظل يتبع الإسلام أينما ذهب، فيعكس وجود المئذنة وجود الإسلام والحضارة الإسلامية مصاحباً لها.

وفي نفس السياق التعبيري للمئذنة يمكن تفسير المآذن شديدة الضخامة، وشديدة الارتفاع، وتعدد المآذن، وموقع المآذن، وعمارتها المحكمة المتقنة على أنها تعبير عن قوة

الإسلام وهيمنته على أكبر رقعة جغرافية بالعالم.

وتعكس المآذن في الهند أنموذجا معبرا عن السياق التعبيري سالف الذكر، فنجد منار علاء الدين الخلجي[103]، والذي لم يتبق منه غير جزء من الطابق الأرضي، وهو عبارة عن طابق أسطواني ضخم قطره حوالى 40 متراً؛ و يؤكد هذا القطر الضخم أن المنار كان أضخم مئذنة ليس في الهند وحدها أو شرق العالم الإسلامي، بل وفي العالم بأسره، واشتهرت الهند كذلك بمآذنها شاهقة الارتفاع، مثل قطب منار بدلهي (ارتفاعها 73 متراً، لوحة 54). وانتشر كذلك تعدد المآذن في صورة زوجية بالعمائر في الهند كما سبق القول.

وفى إطار تعبيري كذلك، لكن في دائرة محدودة تتعلق بالمنشئ، أو فترة زمنية ما، أو دولة أو أسرة حاكمة بعينها، تقوم المآذن أيضاً بدور تعبيري يعكس مظهر القوة والنفوذ والهيمنة أو العلو، وأيضاً قدرات وإمكانات المنشئ، والتنافس المعماري، سواء كان تنافسا بصورة مطلقة؛ أي الرغبة في إنجاز معماري ليس له مثيل قائم، أو التنافس والتحدي بين المنشئين من سلاطين وأمراء بصفة خاصة، وأيضا بين المعماريين.

وتمثل المآذن المملوكية في القاهرة أنموذجا يوضح البعد التعبيري في هذا السياق فتمثل مئذنة جامع السلطان حسن بالقاهرة (757-758هـ/1356-1357م) البالغ ارتفاعها من الأرض 84متراً تنافساً في المطلق، فأراد السلطان حسن ألا يعلوها أي بناء آخر.

ويعكس عدد المآذن بعداًتعبيرياً -غير البعد الوظيفي والفقهي- يفيد القوة والفخامة وضخامة البناء، وتمثل مآذن جامع عمرو أقدم أنموذج لتعدد المآذن (أربع مآذن في الأركان الأربعة عمل مسلمة بن مخلد الأنصاري 53هـ/673م) وإن غلب عليها في هذه الآونة الدور الوظيفي كما سبق القول، بينما تمثل مئذنتا جامع الحاكم بأمر الله (393هـ/1003م) أنموذجا واضحا للبعد التعبيري لتعدد المآذن، حيث مظهر القوة والفخامة، وتؤكد هذا الدور وتكمله بقية تفاصيل التخطيط والعناصر المعمارية للجامع، ومنها المساحة الضخمة، والمدخل التذكاري.

وفى العصر المملوكي أصبحت ظاهرة قوية (جامع الناصر محمد بالقلعة 718هـ/1318م، لوحة 35) وظهر فيها البعد التعبيري بصورة أوضح من ذي قبل؛ فنجد أن خطة بناء جامع السلطان حسن (757-758هـ/1356-1357م، لوحة 28) كانت تشمل بناء أربع مآذن[104] تهيمن على أطراف المنشأة وتطغى على البعد البصري للمنشأة والمنطقة المحيطة بأسرها، وتمثل مئذنتا المؤيد شيخ (822-823هـ/1419-1420م) أنموذجا رائعا للبعد التعبيرى لتعدد المآذن، وزاد من قوة التأثير بناؤهما أعلى برجي باب زويلة (لوحة 37). وفي خانقاه الناصر فرج بن برقوق بقرافة المماليك (801-813هـ/1398-1410م) تم وضع كلتا المئذنتين (لوحة 36) على الواجهة الرئيسة لتحقيق ذات الغرض التعبيري في المقام الأول، وتشير مآذن جامع الأزهر (لوحة 33) في صورته النهائية مثالا دالا على تعبيرية المآذن، حيث أضيفت مآذن من قبل منشئين متباينين تعود

لعصور عدة دونما ضرورة وظيفية ملحة كما سبق القول.

ويشير موقع المآذن إلى تلبية البعد التعبيري –فضلاً عن العوامل الأخرى المؤثرة في بعض الحالات، وأهمها اتفاقها والأحكام الفقهية بمراعاة عدم شغلها لأي مساحة من مساحات الصلاة، أو الاستفادة من أساسات قائمة متينة البناء، أو محدودية المساحة خاصة داخل القاهرة فيما بعد العصر الفاطمي– فقد حرص المعمار بصورة كبيرة على وضعها على الواجهة الرئيسة قريبة قدر الإمكان من المدخل الرئيس إن لم تكن تعلوه –أو تكتنفه في حالة وجود مئذنتين كما هو منتشر في عمارة إيران وآسيا الصغرى والهند، لوحات 38:41– بحيث تهيمن على الشكل العام للمنشأة وتوحي بالفخامة والقوة.

ويمثل شارع المعز بالقاهرة متحفاً مفتوحا للمآذن من العصر الفاطمي وحتى عصر محمد على باشا، حيث تشُرف مآذن جميع المنشآت تقريباً على شارع المعز (الشارع الأعظم أو القصبة العظمى) أعلى المدخل الرئيس أو قريبة منه، مهيمنة على التشكيل البصري العام للتكوينات المعمارية بالشارع (لوحة 21).

4. المئذنة والبعد الاقتصادي

يمثل البعد الاقتصادي أحد أهم العوامل المؤثرة على صياغة الشكل المعماري والزخرفي للمئذنة، وفي هذا السياق يمكن مقارنة النتاج المعماري في بلاد الشام ومصر ونظيره في شرق وغرب أفريقيا (لوحة 64–66)، وبين دمشق في العصر الأموي وغيرها من المدن، وبين بغداد حاضرة الخلافة العباسية وغيرها من المدن، وبين مصر في العصرين الطولوني والفاطمي والمملوكي وبقية العصور، فمن المعلوم أن رؤوس الأموال وحركة التجارة الرئيسة تكون في العواصم الكبرى، لا سيما وإن كانت عاصمة خلافة إسلامية كبرى مترامية الأطراف مثل الدول الأموية والعباسية والعثمانية، أو دولة إسلامية قوية مثل الدولتين الأيوبية والمملوكية (وعاصمتهما القاهرة) وشملت كل منهما إلى جانب مصر بلاد الشام، وضمت الدولة المملوكية الحجاز وبعض الجزر في البحر المتوسط، ومقارنة المآذن المملوكية في القاهرة (عاصمة الدولة المملوكية) بنظائرها العثمانية (بعد أن أصبحت واحدة من ولايات الدولة العثمانية) توضح هذه الفكرة، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان تأثر مصر اقتصاديا بعد تحول طريق التجارة الرئيس لطريق رأس الرجاء الصالح بدلاً من المرور عبر الأراضي المصرية، وأن خراج مصر لم يعد يُنفق داخلها شأن الفترة المملوكية، بل صار يرسل للآستانة حاضرة الخلافة العثمانية.

وعلى مستوى ثانٍ نجد في الدولة نفسها تنقسم العمارة إلى مدارس معمارية متباينة تعكس البعد الاقتصادي كذلك؛ فنجد في مصر على سبيل المثال يمكن حصر أربع مدارس رئيسة وهي: القاهرة (العاصمة)، الوجه البحري (الدلتا)، الوجه القبلي (الصعيد)، الواحات. وبدون شك تستأثر العاصمة بالنصيب الأوفر من التطور المعماري، والذي سينعكس بالضرورة على صياغة

الشكل المعماري والزخرفي للعمارة بصفة عامة، والمآذن بصفة خاصة، وتمثل المآذن المملوكية فى مصر أنموذجاً واضحاً لذلك.

وتوجد استثناءات في كلتا الحالتين السابقتين سواء على مستوى الدول أو على مستوى المدن، بحيث يمكن أن نرى نماذج معمارية خارج نطاق حواضر الخلافة والدول الكبرى أو عواصم الولايات تُضارع العمائر الكبرى للعواصم والحواضر؛ وهذه الاستثناءات تعكس أمرين: الأول وهو دلالة على بداية استقلال سياسي –يعكس بعداً تعبيرياً– يدعمه ويتبعه استقلال اقتصادي مثل حالتي الدولة الطولونية ومحمد علي باشا في مصر. والثاني يمثل المستوى الثالث لتأثير البعد الاقتصادي وهو البعد الاقتصادي للراعي المباشر للعمارة (المنشئ).

المستوى الثالث هو إمكانات المنشئ، وهو ما يفسر –كما أسلفنا– وجود عمائر متمايزة عن السياق العام المشترك للطراز المعماري فى مكان ما. فعلى سبيل المثال تمثل المآذن الحجرية في الدلتا المصرية (تمثل نسبة 5.6% [105]) هذه الحالة؛ حيث إن جلب الأحجار من مناطق بعيدة، والحاجة إلى جلب حرفيين مهرة ذوي خبرة بنحت الحجر والبناء به، فضلاً عن المواد الخام الأخرى مثل الرخام وغيره، يعكس بدون شك البعد الاقتصادي المتميز للمنشئ والذي أراد بدوره أن يعكسه عبر منشأته.

وفي السياق نفسه يمكن مقارنة المآذن المملوكية في مصر في ضوء إمكانات المنشئ، فمآذن فئة السلاطين (الناصر محمد، السلطان حسن، المؤيد شيخ، قايتباي، الغوري) لا شك أنها تمثل أروع النماذج المعمارية للمآذن، وانعكاس البعد الاقتصادي –فضلا عن النفوذ السياسي– في استئثارهم بأنفس وأجود المواد الخام، وأشهر المعماريين، وأمهر الحرفيين، ويتبع السلاطين في ذلك فئة كبار الأمراء، وفي السياق ذاته تتمايز مآذن عمائر السلاطين العثمانيين –يتبعهم في ذلك الوزراء العظام– في مخططاتها وارتفاعاتها وعناصرها، وترتبط بأسماء أشهر المعماريين مثل حاجي بن موسى[106] (الجامع الأخضر في أزنيك، 780–795هـ/1378–1392م)، وحاجي عوض باشا[107] (الجامع الأخضر في بروصة، 815–822هـ/1412–1419م، والجامع الكبير جامع السلطان جلبي محمد "السلطان محمد الأول 804–824هـ/1402–1421م" في ديموتيقا باليونان 824هـ/ 1420–1421م، لوحة 80) وسنان[108] باشا (مجموعة كبيرة من العمائر للسلاطين والوزراء العظام وزوجاتهم وبناتهم في إسطنبول، وتوجها سنان بجامع السليمية 975–981هـ/ 1568–1574م، لوحة 67) في أدرنة.

وجدير بالذكر أن تأثير البعد الاقتصادي ليس مطلقا؛ وإنما هناك ثمة تداخل بينه وبين تأثير أبعاد أخرى في صياغة الشكل المعمارى والزخرفي للمئذنة، ويأتى البعد الفقهي المعماري في مقدمة هذه الأبعاد، وفي هذا السياق يمكن تفسير الثراء الشديد لزخارف المئذنة المملوكية عامة والجركسية خاصة مقارنة بالمئذنة العثمانية، وأن علة ذلك لا تقف عند البعد الاقتصادي،

وسنوضح ذلك أكثر في مُعالجة البعد الفقهي المعماري للمئذنة.

ويمثل البعد الاقتصادي عاملاً أدى إلى تنوع وحدة المئذنة ككيان معماري يتسم انتشاره بالعالمية؛ حيث انعكس في اختلاف أشكال المآذن، وتعدد مواد وتقنيات بنائها، وطبيعة تكويناتها الزخرفية من مكان لمكان، ومن وقت لوقت، ومن منشئ لمنشئ ...

وجاء تنوع المآذن نتيجة البعد الاقتصادى انعكاسا صادقا لسياق بناء هذه المآذن الاقتصادى، ونتج عنها مآذن شديدة الثراء، وأخرى ثرية، وثالثة بسيطة، ورابعة فقيرة؛ وكل فئة من هذه الفئات تعكس مدرسة معمارية مختلفة في الغالب، وهذا التنوع يكسب عمارة هذه المآذن رونقاً وجمالاً خاصاً بها؛ فنجد العمارة الفقيرة بالطوب اللبن (لوحة 6، 12، 20، 64-66) رغم مظهرها الفقير فإنها أكثر تكيفاً مع البيئة وتعبيراً عنها، وهذا يدل على التناغم بين البعد الاقتصادي وأبعاد أخرى، مثل البعد البيئي المناخي، والبعد الفقهي المعماري، فى صياغة أشكال المآذن وعمارتها.

وجدير بالذكر في سياق البعد الاقتصادى أن المئذنة أحد أكثر العناصر المعمارية –إن لم يكن أكثرها على الإطلاق في حالة المساجد صغيرة المساحة– تكلفة، واستخداما للمواد الخام فضلا عن كونها معقدة البناء؛ ويرجع ذلك لامتدادها الرأسي، ولوجود –في الغالب– سلم داخلى بها ضمن مساحة محدودة.

5. المئذنة والبعد الفقهي المعماري

يمثل البعد الفقهي المعماري أحد العوامل المهمة في صياغة طبيعة انتشار المئذنة كعنصر تعبيري دال على عالمية الحضارة الإسلامية؛ فبداية أثرت على وجود المئذنة من عدمه في ضوء تبني بعض المذاهب (الزيدية والإباضية) عدم بناء المآذن، ثم موضع المئذنة بالنسبة للمسجد، وارتفاعها، والمعالجات المعمارية لتحقيق المواءمة بين الشكل المعماري الأمثل لتلبية متطلبات الوظيفة وبين القواعد الشرعية والأحكام الفقهية، وكذلك زخرفة المآذن.

المآذن والمذاهب التي ترى وجوب عدم بنائها

سنعرض في هذا المنحى لتأثير موقف بعض الفِرق الإسلامية المتبنية لفكرة عدم بناء المآذن على طبيعة عالمية انتشار المئذنة كعنصر معماري شاهد على عالمية الحضارة الإسلامية، وذلك في ضوء عمارة مساجد الزيدية والإباضية.

الزيدية[109] إحدى فرق الشيعة، تنسب إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم (80-122هـ/698-740م). مرت الزيدية بثلاث مراحل رئيسة في الكوفة، أرض الديلم وطبرستان، واليمن، وتعنينا الزيدية في اليمن بصفة خاصة، وهي أهم هذه المراحل وأكثرها تأثيرا واستمراراً. أقام دولة وحكم الزيدية في اليمن الإمام الهادي إلى الحق في القرن 3ه/9م. وكان مركزهم الأول مدينة صعدة، ثم انتقل إلى صنعاء في نهاية القرن 8ه/14م. حكم الزيدية شمال

اليمن بصفة خاصة فترات متقطعة، تخللتها بعض الفترات التى خضعت فيها اليمن الصليحيون والعثمانيون. وتعتبر أهم الفترات التي حكمها الزيديون هي الفترة (1045-1251هـ/1636-1835م)، وهي الواقعة بين العصر العثماني الأول (945-1045هـ/1538-1636م) والعصر العثماني الثاني (1289-1336هـ/1872-1918م) لليمن، ثم حكم الزيديون اليمن بعد خروج العثمانيين وحتى سقوط الإمامة سنة 1382هـ/1962م مع قيام الثورة اليمنية، وانتهى بذلك حكم الدولة الزيدية، ولكن تظل اليمن (خاصة صعدة وأجزاء من صنعاء) مركز ثقل الزيديين.

يوجد عدد كبير من المساجد الزيدية في اليمن بنيت بدون مئذنة. ومرجعية ذلك إيمان أصحاب هذا المذهب كما صرح إمامهم الأُطروش[110] (230-304هـ/800-917م)، في رسالته عن الحسبة[111]، حيث أكد ضرورة مخالفة عمارة المساجد للكنائس، وألا تحتوي على صور، ولا تزخرف بالتذهيب، أو المعلقات أو الستائر أو أعمال الجص.

ثم قال بخصوص المآذن: يجب ألا ترتفع المآذن أعلى من مستوى سطح المسجد، وتلك المآذن المرتفعة يجب أن تُهدم حتى مستوى سطح المسجد، وحدد الأطروش مرجعية ذلك لمقولة نسبها لسيدنا على بن أبي طالب أمير المؤمنين بما نصه: "لا ترفعوا منارة المسجد أعلى من جدرانه، وإن بناءها يجب أن يكون مساويا فى الارتفاع لارتفاع سطح المسجد"[112].

وتجدر الإشارة إلى أنه مع تبنى الزيدية لعدم بناء مآذن، إلا أن ثمة حالات[113] تخالف هذا التبني، مثل الجامع الكبير بزبيد، وجامع الأشرفية في تعز، والمئذنة الآجرية لجامع المنصور بظفار (ذيبين) والتي بناها الإمام الزيدي المنصور بالله (تقريباً أوائل القرن 7هـ/13م، لوحة 42)، ومئذنة الجامع الأبهر في صنعاء (**1161**هـ/1748م، لوحة 45) وإن ظلت محدودة العدد مقارنة بإجمالي عدد المساجد الزيدية المبنية بدون مآذن، وانتشر بناء المآذن للمساجد الزيدية بصورة كبيرة منذ منتصف القرن العشرين فصاعداً.

أما عن علة تبني المذهب الزيدي لعدم بناء المآذن بارتفاع أعلى من سطح المسجد فيجدر بنا مناقشتها في ضوء البعد الفقهي المعماري، فهو حكم له علة وليس قاعدة في ذاته، إذ إن الغرض هو عدم كشف خصوصية الدور نتيجة ارتفاع المئذنة، فإذا ما تحقق الغرض دونما تعارض مع ارتفاع المئذنة وهو أتم لأدائها الوظيفي فهذا أفضل.

ويذكر السمهودي رواية تاريخية مشابهة لتلك التي اعتمدها الإمام الأُطروش حجته في بيان عدم جواز الارتفاع ببناء المآذن عن سطح المسجد، فيذكر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك (ت 99هـ/717م) في زيارة للمدينة المنورة وهو في رحلته إلى الحج نزل في دار مروان التي كانت تقع في جهة الركن الجنوبي الغربي من المسجد، وعندما صعد المؤذن المئذنة التي كانت في هذا الركن للأذان، فأصبح الخليفة تحت بصره، فأمر الخليفة بهدم المئذنة إلى مستوى سطح المسجد[114].

وفى هذا تتضح علة الحكم أنها ليست لذاته، وإنما لدفع الضرر الذي نتج عنه وهو الكشف من علٍ[115]؛ ولكن إن تمكن دفع هذا الضرر بوسيلة أخرى مع الإبقاء على المئذنة فلا ضرر، وفي هذا يقول ابن سحنون عندما سُئل –عن حالة مشابهة– عن المسجد يكون فيه المنار، فإذا صعد المؤذن فيه عاين ما فى الدور التى تجاور المسجد، فيريد أهل الدور منع المؤذن من الصعود فيه، وربما كانت بعض الدور على البعد من المسجد يكون بينها الفناء الواسع والسكة الواسعة، فأجاب سحنون بمنع المؤذن من الصعود والارتقاء؛ لأن هذا ضرر، ويذكر ابن الرامي أنه إذا لم يتبين المؤذن الأشخاص من المئذنة فلا يُ منع من الصعود[116].

وقد قام المعمار الإسلامي بعمل معالجات معمارية –سيتناولها البحث بعد ذكر موقف الإباضية من بناء المآذن– وابتكار حلول للتغلب على هذه المعضلة فيتحقق عدم الكشف دون التأثير على ارتفاع المئذنة والذى هو سمة مميزة للبعد الوظيفي والتعبيري للمئذنة في تحقيق عالميتها كعنصر معماري.

الإباضية وبناء المآذن. تمثل الإباضية[117] أحد المذاهب الإسلامية المنفصلة عن السنة والشيعة، وبينما يعدها كثير إحدى فرق الخوارج، يرفض الإباضيون تصنيفهم كخوراج جملة وتفصيلا، وتسمى أصحاب هذا المذهب بالإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي، بينما يُ نسب المذهب إلى جابر بن زيد التابعي. تنتشر الإباضية في سلطنة عُمان، وبعض المناطق في شمال أفريقيا، وتشمل منطقة الجبل الغربى (جبل نفوسة) وزوارة في ليبيا، ووادي مزاب في الجزائر، وجربة في تونس، وبعض مناطق شرق أفريقيا.

وفيما يعنينا –بخصوص موضوع البحث– فقد تبنى الإباضيون عدم بناء مآذن للمساجد؛ وذلك لأنها لم تكن موجودة على عهد رسول الله ﷺ والخليفتين أبي بكر وعمر. وآثروا الإعلان للصلاة عبر الأذان من أعلى أسطح المساجد[118]. وانعكس ذلك على خلو المساجد الإباضية الأثرية من المآذن[119]، وجدير بالذكر أن هذا الفكر تغير في عمارة المساجد الإباضية في العصر الحديث، فصاروا يعتمدون بناء المآذن.

وفي نالوت مركز الإباضية بجبل نفوسة (بليبيا) نجد المساجد المبكرة بدون مآذن شأن المساجد الإباضية بعمان[120]. ويوجد بنالوت مسجدان أثريَّان (على بعد 15 متراً من القصر[121]، لوحة 69)؛ المسجد الأقدم معروفـمحلياً باسم "المسجد اللوطي[122]" لأنه في مستوى منخفض أسفل مستوى أرضية الجامع الأثري الآخر الأحدث والذى عرف بدوره باسم "المسجد الفوقي" و"المسجد الأعلى" (لوحة 69). المسجد الأقدم "اللوطي" (تقريباً القرن 3–4هـ/9–10م) بدون مئذنة أو أي كيان معماري يميزه من الخارج، لكن ثمة تطور حدث في المسجد الأعلى (قبل القرن 9هـ/15م) حيث يوجد شكل قريب من مئذنة رمزية غير مرتفعة (تقريباً 1.5 متر) أعلى سقف الجامع جهة المدخل (لوحة 70)وعرف هذا الشكل محلياً باسم "صمعة"[123]، وواضح من الاسم اشتقاقه من مصطلح

"صومعة" الدال على المآذن في شمال أفريقية. وهذا التكوين بغرض تمييز[124] المسجد، واستخدم كذلك للدلالة على العمائر المهمة.

هذا التكوين المعماري (لوحة 70) عبارة عن قاعدة مبنية تقريباً مربعة الشكل، بارتفاع نصف متر تقريباً، يرتكز على أطرافها أربعة أعمدة رقيقة تتجمع في نهاياتها من أعلى بتكوين بدائي يعكس مدى قدم عمارة المسجد من ناحية، وبساطة البناء من ناحية ثانية.

ونختم مناقشة هذه النقطة بأن تأثير المذاهب التى تعتمد بناء المئذنة مثل الزيدية والإباضية كان محدودا جدا على انتشار المئذنة كوحدة معمارية شائعة في عمارة المساجد واكتسابها صفة العالمية وذلك لسببين رئيسين: الأول أن نفوذ أصحاب هذه المذاهب السياسى وانتشارهم الجغرافي محدودنسبياً ويكاد لا يؤثر مقارنة ببقية العالم الإسلامي الذي اعتمد بناء المآذن، وجعل منها رمزا للحضارة الإسلامية والإسلام. والسبب الثاني أن أصحاب هذه المذاهب أنفسهم قاموا ببناء المآذن على مراحل متباينة وبنسب متفاوتة، وانتهى بهم الأمر جميعاً إلى عدم التمسك بقاعدة عدم بناء المآذن.

والجزء الثاني فيما يخص عمارة المئذنة والبعد الفقهي المعماري يتمثل في المعالجات والحلول التي تبناها المعمار الإسلامي للتوفيق بين الأحكام الفقهية وبين انتشار المئذنة بارتفاعها المميز المقترن بفعالية دورها الوظيفي -فضلاً عن البعد التعبيري- وما قد ينتج عنه من أضرار خاصة ضرر الكشف.

انعكس حكم كراهية شغل المآذن لمساحة من ساحة الصلاة بالمسجد على تحديد موضع المآذن[125]؛ ولذا اختار المعمار أن يضع المآذن في الأركان أو فوق المدخل أو فوق سطح المسجد أو منفصلة عنه بالكلية.

وتكشف لنا واقع عمارة المآذن حزمة من المعالجات المعمارية[126] لمنع ضرر الكشف منها الارتفاع الكبير -الارتفاعات الكبيرة جدّاً فوق الخمسين متراً يغلب على تصميمها بهذا الارتفاع البعد التعبيري والتنافسي أكبر منه البعد الوظيفي- لكتلة بناء المئذنة، مع تحديد زاوية ميتة تمنع رؤية سطوح الدور المجاورة القريبة بحيث لا يَرى من يرتقي المئذنة سوى السطوح البعيدة ومع الارتفاع الكبير لا يتمكن من رؤية تفاصيل الأسطح وكشفها.

وكذلك عمل سترات معمارية للجزء العلوي من المئذنة حيث يقف المؤذن بحيث يجعل نظره في خط مستقيم فلا يكشف الدور وأسطحها.

وانعكس ذلك على تصميم فتحات الإضاءة والتهوية بالمآذن، فجعلها إما مرتفعة في مستوى أعلى من الصاعد على سلم المئذنة ومن ثم لا تُمثل موضعاً للرؤية، أو إن كانت في مستوى يسمح للصاعد بالرؤية عبرها فتصمم على شكل المزاغل أي هيأة حرف "V" بحيث لا يتمكن الصاعد من الرؤية عبرها وكشف ما بأسفلها.

وفي المناطق الصحراوية (نجْد بالسعودية، الواحات بصحراء مصر الغربية، بعض المناطق بشمال أفريقية) تقيد ارتفاع المئذنة بحيث لا يعلو كثيرا أسطح الدور المحيطة بالمسجد، وتكون المآذن خالية من النوافذ (لوحة 20)، ولها سلم داخلي مستور، ويكون موضع المؤذن أعلى المئذنة، ينظر باتجاه سطح المسجد، ولا يكشف[127] أسطح الدور المجاورة.

وتمثل مآذن مدينة غدامس الأثرية شاهدا على شكل من أشكال هذه المعالجة؛ حيث إن أسطح دور مدينة غدامس لها خصوصية في الاستخدام –غير موجودة بذات الكيفية في أي مدينة إسلامية أخرى– تتمثل في قصر استخدام الأسطح على النساء، فتمثل عالماً خاصاً بهن حيث تتم حركة النسوة عبر الأسطح، فيتنقلن من سطح منزل لسطح منزل آخر عبر ممرات معدة لذلك، تربط أسطح المدينة كلها من أعلى (لوحة 71)، وتتم على الأسطح وعبر الحركة بينها زيارات النسوة واحتفالاتهن، وأعمال البيع والشراء وغيرها[128]. ويتم ستر السلم والسطح بسترة معمارية تحقق الحماية والخصوصية الكاملة للنساء على السطح، وفي السياق نفسه يراعى فى ارتفاع المآذن ألا يتجاوز ارتفاعها بما يكشف أسطح المنازل، فنجد أن ارتفاع مئذنة جامع العتيق بغدامس 7.80 أمتار[129] وهو بذلك قريب من أقل ارتفاع للدور الغدامسية، كما أن المئذنة وضعت تجاه الساحة التي يطل عليها المسجد وليست باتجاه الدور.

وتمثل زخرفة المآذن في ضوء البعد الفقهي النقطة الأخيرة في هذا السياق، وكما ذكرت عند تناول زخارف المئذنة والبعد الاقتصادي أن البعد الاقتصادي ليس هو المحدد الأوحد في تشكيل وصياغة زخارف المئذنة –والعمارة الاسلامية بصفة عامة– وإنما يتداخل معه عوامل مؤثرة أخرى، أهمها البعد الفقهي، وتمثل مقارنة زخارف كل من المئذنة العثمانية والمئذنة المملوكية أنموذجا واضحا لذلك، فبدون شك فإن زخارف المئذنة العثمانية شديدة التواضع –حتى في العصر الذهبي للعمارة العثمانية ق 10هـ/16م في العاصمة إسطنبول– مقارنة بزخارف المئذنة المملوكية، ومن الصعب تفسير ذلك في سياق البعد الاقتصادي وإمكانات المنشئ، وأيضاً ليس بتأثير الحرفية العالية لطوائف المعمار في العصر المملوكي، خاصة بعد أن فتح العثمانيون مصر والشام وأخذوا أمهر المعماريين والحرفيين في كافة الحرف؛ ولكن أعتقد إمكانية تفسير بساطة الزخرفة في المئذنة العثمانية نتيجة الالتزام بالقواعد الفقهية بعدم المبالغة في الزخرفة خاصة فيما يخص المساجد، وفي واقع الأمر بتحليل الزخارف المملوكية نجد أنها شديدة الثراء والقيمة الفنية من ناحية، لكنها تعكس من ناحية أخرى أموالا جمة أنفقت في غير مقاصدها الشرعية، ولو أنها أنفقت فيقضاء مصالح الناس ومعايشهم لكان أمثل شرعاً وفقهاً.

انعكاس سمات عالمية الإسلام عبر المئذنة كظاهرة معمارية دالة عليها

تحاول الورقة البحثية هنا الإجابة على سؤالين يعكسان فكرة البحث وهما: هل عكست عالمية المئذنة كعنصر معماري شاهد على عالمية الإسلام نفس سمات عالمية الإسلام ؟ وهذا

يقودنا للسؤال الثاني: هل التسمية الصحيحة للنتاج المعماري في العصور الإسلامية هي "العمارة الإسلامية" أي "عمارة الإسلام" أم "عمارة المسلمين"؟

في ضوء ما عرض له البحث نستطيع أن نقول إن المئذنة كشاهد معماري على عالمية العمارة والحضارة الإسلامية عكست –إلى درجة كبيرة– صورة صادقة فطرية لطبيعة وروح عالمية الإسلام.

فنجد أنه رغم وحدة الوظيفة الأصلية للمئذنة (الرئيسية)، وتوحد الهدف من النشأة، وتوحد الشكل العام دون تفاصيل كونها بناء رأسيًّا بشكل البرج، ورغم توحد الحكومة الإسلامية لفترات زمنية طويلة (النظام المركزي في الحكم ، مثل الدول الأموية، والعباسية، والعثمانية على سبيل المثال) إلا أن ذلك لم يؤدِّ إلى اعتماد أنموذج "موحد" الشكل والتصميم للمئذنة، ونسخه في كافة الأقطار وعلى مر الأزمان، بل على العكس نجد المآذن في أشكالها المعمارية، وزخارفها، وارتفاعاتها، ومواد وتقنيات بنائها، وإكسابها وظائف ثانوية متعددة جاءت متباينة من عصر لعصر، ومن مكان لمكان، بل ومن منشئ لآخر؛ لتعكس الحرية الكاملة في البناء أو عدمه أولاً (الزيدية والإباضية)، ثم في التطبيق بما يتواءم وخصوصية كل بقعة وفقاً لإمكاناتها الطبيعية والبشرية والموروث التاريخي والحضاري والمعماري لها.

وهذا التطبيق الفطري يأتي مرآة صادقة لحقيقة "عالمية" رسالة الإسلام، حيث إن الإسلام أكد الأركان، والحدود، والخطوط العريضة للشريعة، تلك التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهذا يتفق مع طبيعة "العالمية" التي يشترط أن تكون صالحة لكل زمان ومكان،بينما تُركت كثير من القضايا، وأمور سكت التشريع إزاءها أحيانا، وأحيانا أخرى جاء بنماذج متباينة إزاء موقف واحد لتمثل نبراساً لقابلية تعدد الحلول والرؤى، وأنه لا يوجد صواب واحد مطلق في الأمور التي تقبل الاجتهاد، لتأكيد أن الأمر لا يتعدى كونه اجتهاداً في ضوء الواقع، وترك الدين مساحة واسعة تتسم بالمرونة لمواكبة الواقع المتغير باستمرار ومستجداته إزاء تفاصيل الحياة وتطبيقاتها، لتتحدد وفق عوامل عدة متغيرة بدورها منها طبيعة المكان، وثقافة الناس، والإمكانات المتاحة ...

ويؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ: " أنتم أعلم بأمر دنياكم[130]"، وهذا فيما يتعلق بكل الأمور الحياتية التي لم يحددها الشرع، وبما لا يتعارض مع القواعد الشرعية الثابتة، وفي السياق نفسه نجد المعالجات الفقهية تختلف تجاه أمور المسلمين باختلاف الزمان، والمكان، والجنس، والعمر، والتفاصيل الحياتية؛ فنجد فضلاً عن فقه النص هناك ما يعرف بفقه الواقع، وفقه الأولويات، وفقه المُمْكِن ...

وهكذ عرضت عمارة المئذنة عبر عالمية انتشارها ونماذجها المتباينة زمنيا وجغرافيا أن الأمر كان متروكاًلكل أمة لِتُبدع في نتاجها المعماري والحضاري –بما لا يتعارض مع القواعد الشرعية الثابتة– بعيداً عن هيمنة الإدارة المركزية للدولة "الإسلامية"، أو عن جنس من الأجناس،

بل تضافرت كل إمكانات العناصر الجديدة من المسلمين الفاتحين والمسلمين الجدد وغير المسلمين فى صياغة النتاج المعماري والحضاري، وانعكس كذلك بعبقرية عفوية تعكس حقيقة "عالمية" الإسلام، التي ينصهر فيها جميع الأجناس وأيضاً غير المسلمين، فأي حضارة تكون اللبنة الأولى في نجاحها واستمراريتها وتوسعها هي استيعاب كافة الشعوب والأجناس والموروثات وفق معايير مقبولة معلنة ...

وجود استثناءات كما أوضحتها دراسة المآذن في إطار "العالمية" –خاصة تلك المتعلقة بالبعد الفقهي المعماري – مثل اجتهاد الزيدية والإباضية في الرأي بعدم بناء المآذن، المبالغة والإسراف في زخرفة بعض المآذن وتذهيب أهلة المآذن (وإن كان بصورة نادرة في العصر المملوكى بالقاهرة)، بالإضافة إلى عدم اتفاق عمارة بعض النماذج والأحكام الفقهية ما ترتب عليه في بعض الحالات إما هدم المئذنة أو الحكم بعدم صعود المؤذن عليها.

هذه الاستثناءات تنقلنا للإجابة على السؤال الثاني المتعلق بتعيين التسمية الصحيحة للنتاج المعماري في العصور الإسلامية؛ هل هي "عمارة إسلامية" أم "عمارة المسلمين" أم أن الأمر يتطلب تسمية ثالثة غير هذه أو تلك؟

وبداية يجب التأكيد أن مناقشة المسمى في هذا السياق تتجاوز النقاش القديم حول المسميات الأخرى، مثل الفن العربي، والشرقي، والمحمدي، كما أنها تتجاوز مناقشة المسمى في سياق دراسات المستشرقين[131] القديمة بغرض تجريد الفن الإسلامي من أصالته وابتكاره ونسبة مفرداته وعناصره إلى أصول من حضارات سابقة؛ وإنما يعنينا هنا بصفة خاصة المسمى في سياق الفقه المعماري، واللبس الحادث نتيجة وسم العمارة بالإسلامية، ومدى دلالة هذا التوصيف من حيث مطابقتها للقواعد الشرعية والفقهية للإسلام من عدمه.

وفي هذا السياق ثمة رأيان: الأول (عبد الستار عثمان، 2002م) يرى أن التسمية الصحيحة هي "عمارة إسلامية"[132] لكونها تتفق –في ضوء النماذج التي عرض لدراستها– والأحكام الفقهية للإسلام ذات الصلة، وأكد الباحث أن الحالات التي تشير إلى مخالفة الأحكام الفقهية المتعلقة بالبناء تمثل استثناءات، ويجب أن تدرس في سياق خاص يوضح أسباب هذه المخالفة.

والرأى الثاني (Spahic Omer, 2008) يعتقد أن تسمية "عمارة المسلمين"[133] هى الأفضل والأكثر دقة وليس "عمارة إسلامية" ؛ ويبرر ذلك إلى أن التسمية الأخيرة تعني وصف العمارة بالإسلامية، أي أنها يجب أن تتفق والصورة الصحيحة للإسلام في كل شيء، وهذا الأمر غير مطبق في الواقع. ويستطرد بأن كل "عمارة إسلامية" هي "عمارة المسلمين"، بينما كل "عمارة المسلمين" ليست بالضرورة "عمارة إسلامية". ودلل الباحث على فكرته عبر دراسة تفصيلية لقصير عمرا[134] (92-96هـ/711-715م؟، اكتشفه موزيل سنة 1898م ببادية شرق الأردن) ورسومه في ضوء الأحكام الشرعية والفقهية، وانتهى إلى أنه يمثل شاهدا أثريا نموذجيا يوضح

فكرته كونه لا يتفق والأحكام الفقهية، وعليه فالتسمية الصحيحة –من وجهة نظره– هي "عمارة المسلمين" وليست "عمارة إسلامية".

وأتفق مع الرأى الأول بأفضلية تسمية عمارة إسلامية مقابل عمارة المسلمين، لكن مع اختلاف الأسباب؛ لأن وسم العمارة بالإسلامية ليس نتيجة التزام وتقيد هذه العمارة –والأمر أكثر وضوحاً في الفنون الإسلامية– بالأحكام الشرعية والفقهية كما تشير الشواهد الأثرية وإن كانت قليلة العدد، خاصة فيما يخص العمارة الدينية، كما أن العمارة السكنية على سبيل المثال منذ نهاية القرن 12هـ/18م تقريباً غير مقيدة بالأحكام والقواعد الفقهية من تحقيق الخصوصية وعدم الكشف والفصل بين الرجال والنساء ... وهي عمارة إسلامية، وفي ذلك أتفق مع الرأي الثاني في التحليل، ولكن أختلف معه في النتيجة.

وسبب القول بأفضلية تسمية عمارة إسلامية هو ذاته فكرة هذا البحث؛ وهو كيف تعكس العمارة الموسومة بالإسلامية طبيعة الدين الإسلامى؟ فالإسلام منهج حياة شامل، وأقر الدين الإسلامى المسؤولية الفردية في الحساب والجزاء. كما أن الإشكاليات التي تتعلق بالعمارة الإسلامية المتعلقة بالبعد الفقهي ليست بتلك الدوافع التي تقضي بنفي صفة الإسلام عن فاعلها من قريب أو بعيد، بل يظل غالبيتها في حكم المكروه؛ فمالنا نريد نفي صفة الإسلامية عن المبنى ذاته؟ فالعمارة الإسلامية لا تعكس فقط حقيقة الإسلام، وإنما سياق شامل لظروف البناء؛ فأنموذج تصاوير قصير عمرو هي عمل داخلي لا يراه غير صاحب المكان، وهو مسئول عنه مسؤولية فردية، ولا يتعلق ذلك بأنه مبنى غير إسلامي، لكنه يعكس مبنى إسلامياً لمسلم –يمكن القول بأنه– لم يتقيد بالقواعد الشرعية الفقهية في سياق محدد، ولا يمثل ذلك شائبة تشوب الإسلام.

أي أن النتاج المعماري في العصور الإسلامية وتحت رعاية المسلمين كرعاة ومنشئين هو نتاج بشري يعكس السلوك البشري بدءا من الفهم الصحيح للقواعد والأحكام والمعنى منها ثم التقيد والالتزام بها، أو الفهم الخاطئ وتأويل النصوص، مرورا بعدم الالتزام والتحايل إلى المخالفة الصريحة للأمور والقواعد الشرعية. باختصار تمثل العمارة الإسلامية مرآة لواقع المسلمين وطبيعة فهمهم وتطبيقهم للإسلام.

وفيما يتعلق بالمآذن فنجد أن الاستثناءات محدودة، وعلة ذلك ارتباطها بعمارة المساجد حيث كان الرعاة حريصين في الغالب على التقيد بالأحكام الفقهية وعدم مخالفتها في عمارة وزخرفة المساجد.

عالمية الحضارة الإسلامية وعالمية الحضارات الأخرى

أختتم البحث بتوضيح طبيعة عالمية الحضارة الإسلامية عبر مقارنتها بعالمية الحضارات الأخرى، فلم تكن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي اتسمت بالعالمية،

ولكن ثمة حضارات أخرى اتسمت بالعالمية، منها الحضارة الرومانية، وبصورة أقل الحضارة البيزنطية، وفي العصر الحديث الحضارة "الثقافة" الأمريكية.

فتمثل الشواهد المعمارية[135] مثل المسرح الروماني[136] (روما، بومباي، أثينا، القسطنطينية (إستانبول)، لبدة وصبراتة بليبيا، تونس، وجدة بالمغرب، حمص بسوريا، الإسكندرية بمصر ...) وأقواس النصر[137] (روما، أثينا، ثيسالونيكي، القسطنطينية "إستانبول"، لبدة وصبراتة بليبيا، وجدة بالمغرب ...) وغيرها شواهد معمارية على عالمية الحضارة الرومانية.

لكن نلاحظ أنها نسخ متكررة لا يتغير فيها من مكان لمكان غير قياساتها، حتى أن تقنيات البناء منسوخة أحياناً في بعض البلدان التي لا تعتمدها؛ فنجد أن تقنية البناء المعروفة بالقسطنطيني (البناء بمداميك من الحجر والآجر بالتناوب، تقنية رومانية) في القسطنطينية (أسوار ثيودوسيوس)، ومصر (المسرح الروماني بالإسكندرية وأبراج حصن بابليون بالقاهرة)، وليبيا (المسرح الروماني بلبدة الكبرى[138])، وفرنسا (وحمام **Thermes de Cluny** في قلب باريس[139]).

النقطة الثانية أن هذه الشواهد المعمارية التي حققت عالمية الحضارة الرومانية كانت مكرسة لاستخدام الحكام الرومان ولإشباع متطلباتهم، ولم تكن عمائر خدمية نفعية في المقام الأول، فأراد الحكام الرومان بذلك نسخ نموذج المدينة الرومانية بمنشآتها معهم أينما ذهبوا ليشعروا وكأن كلاً منهم في مقاطعته إنما في روما.

أما الحضارة "الثقافة" الأمريكية الحديثة فارتبطت بمفهوم "العولمة"[140] أكثر من العالمية، وإن كان بين المصطلحين قاسم مشترك، فكلاهما اشتقا من العالم، ومن دلالاتهما جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه أو تطبيقه، وأيضاً صبغ مناطق مختلفة في العالم بصبغة واحدة مشتركة تتضح في التشكيل البصري لها ويمكن ملاحظتها بسهولة، ويمكن القول بأن الثقافة الأمريكية تتسم بالعالمية في وقتنا الحاضر، ويكفي للتدليل على ذلك انتشار الأبراج المشيدة بالتقنيات الأمريكية من الخرسانة الجاهزة والزجاج في معظم عواصم العالم، وانتشار سلسلات المحالّ الأمريكية، وأيضاً الأفلام الأمريكية في جميع بلدان العالم تقريباً.

وهذا الأمر له دلالته المهمة والخطيرة في أن الفترات التي اكتسبت الحضارة الإسلامية صفة العالمية، وانتشرت آثارها المادية فوق قارات العالم القديم الثلاث كان ذلك انعكاساً لمدى قوة الحضارة الإسلامية الاقتصادية والسياسية والتي انعكست بصورة مباشرة على النواحي المعمارية والثقافية والفنية ...

وهذا يمثل الفارق الجوهري بين عالمية الحضارة الإسلامية وبين عالمية الحضارات الأخرى، سواء القديمة منها شأن الحضارة الرومانية، أو الحديثة الأمريكية المهيمنة الآن؛ وهو أن الأخيرة –على عكس الحضارة الإسلامية– تعمل على نسخ نتاجها المعماري والثقافي والفني

والاقتصادي ... بالنظر إلى مصالحها، دون محاولة استيعاب احتياجات أو مراعاة خصوصية الأقاليم الأخرى التي يتم تصدير هذا النتاج إليها، فنجد فيما يخص العمارة البنايات الزجاجية في المناطق شديدة الحرارة، ونجد البنايات الخرسانية في مدن الصحراء ...

وخلاصة القول أن المئذنة كظاهرة معمارية عالمية في ذاتها، وعاكسة لطبيعة عالمية الإسلام والحضارة الإسلامية في ذات الوقت.

ثبت اللوحات

رقم اللوحة	المصدر
1- 5 ، 7، 9، 56- 58، 60، 66	http://en.wikipedia.org
6، 21- 27، 32-33، 35-37، 68- 71، 73، 80	البـــــاحـــــث
8	جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية (لبنان، مطابع السفير التجارية، 2000م)، 119.
10	http://www.davidmus.dk/en/collections/islamic/dynasties/seljuks/architecture/kalyan-minaret
11	http://en.wikipedia.org/wiki/Menara_Kudus_Mosque
12، 38، 40، 48- 55 ، 59،	archnet.org/library/
13- 16	Bloom, «Five Fatimid Minarets in Upper Egypt»
17- 19	تصوير الزميل د. مجدى علوان (أستاذ مساعد – جامعة أسيوط)
20	http://mannaismayaadventure.com/2012/05/14/siwa-oasis/
28- 31	http://www.arts-wallpapers.com/galleries/David-Roberts_Art-Painting/index.htm
34	http://old-sanaa.com/en/archaeological/mosques.html
39	https://www.flickr.com/groups/mosques/pool/with/360840303/lightbox/
41	http://www.4algeria.com/vb/4algeria.127252/
42- 44	علي سعيد سيف، مآذن مدينة صنعاء حتي نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي
45-46	تصوير الزميل أ. محمد عبد الرحمن (مدرس مساعد – جامعة الفيوم)
47	http://www.panoramio.com/photo/29684185
67	http://www.unesco.org/new/ar/media-services/multimedia/photos/whc-2011/turkey/
72	Ν. Γρ. Ζαχαρόπουλος, Θεσσαλονίκη ιστορική προσέγγιση 1900-1920, Πουρναράς Π. Σ., 1995
74	*Ottoman Architecture in Greece*, (Hellenic Ministry of Culture-Directorate of Byzantine and Post-Byzantine Antiquities), Athens 2008 , 396.
75	http://en.wikipedia.org/wiki/Turks_of_the_Dodecanese
76	http://sofiaglobe.com/2013/11/05/
77	http://en.wikipedia.org/wiki/Mustafa_Pasha_Mosque
78	http://en.wikipedia.org/wiki/File:Thetzarsmosque.PNG
79	http://en.wikipedia.org/wiki/Islam_in_Europe
81	http://islaminthebalkans.blogspot.com/2011/04/islam-in-greece.html
82	http://oneworldofcolor.files.wordpress.com/2011/09/032-mesquita-de-sultanahmet-e-agia-sophia-pan.jpg
83	http://www.kheussler.de/egypt/DSCF2272f.en.htm

الأشكال واللوحات

أولاً : الأشكال

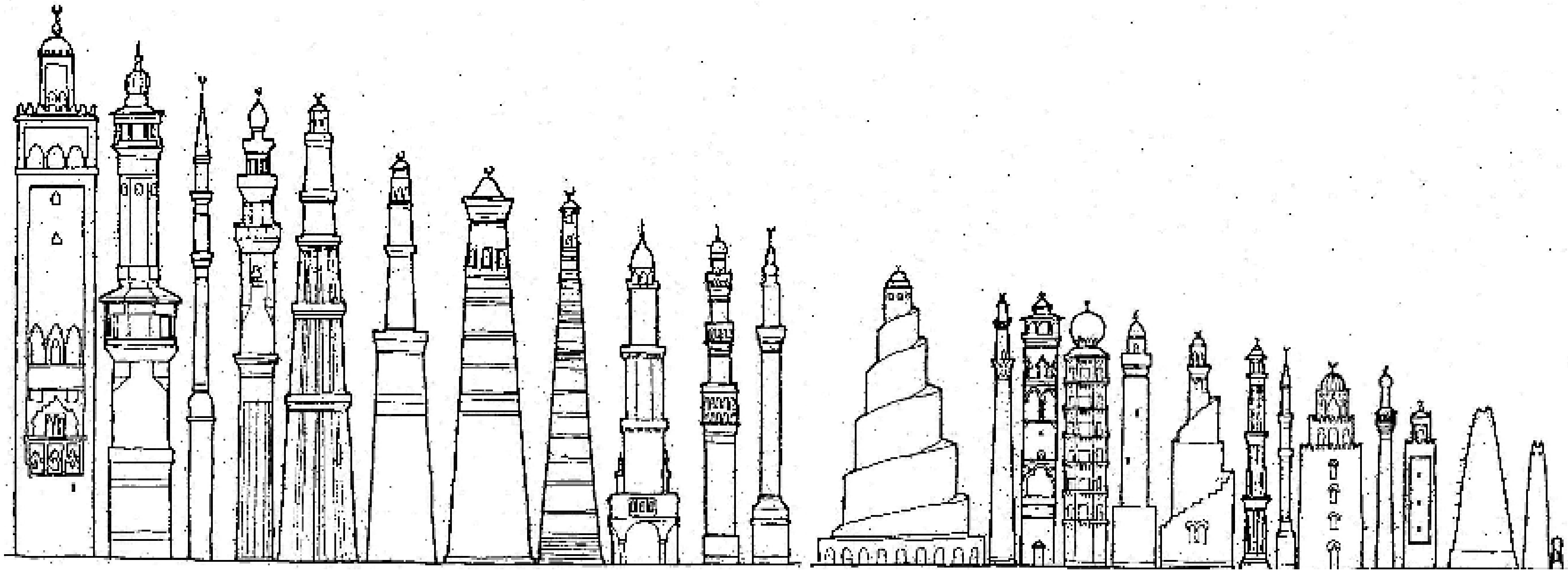

شكل رقم (1) نماذج لطرز المآذن المختلفة في العالم الإسلامي، عن : Hillenbrand, R., *Islamic Architecture Form, Function*

المآذن على الترتيب من اليسار لليمين (قطاعات المآذن مرتبة وفق الارتفاع): مئذنة جامع حسان بالرباط ؛ مئذنة بالحرم المكي الشريف ؛ مئذنة جامع محمد علي بالقاهرة ؛ مئذنة مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ؛ قطب منار بدلهي ؛ مئذنة جامع بأفغانستان ؛ مئذنة المسجد الجامع في خيوه بآسيا الوسطى ؛ مئذنة المسجد الجامع في أوركنج ؛ مئذنة ليدنيش بجمهورية التشيك ؛ جهار منار في حيدر آباد بالهند ؛ مئذنة الجامع الكبير ببورصة تركيا ؛ ملوية جامع سامراء بالعراق ؛ منارة سارابان بأصفهان بإيران ؛ مئذنة الجامع الكبير بحلب في سوريا ؛ مئذنة مسجد الجمعة في بيجابور بالهند ؛ مئذنة الجامع النوري في الموصل بالعراق ؛ مئذنة ابن طولون بالقاهرة ؛ مئذنة مسجد الجمعة بدلهي في الهند ؛ مئذنة مسجد مراد الأول في بورصة بتركيا ؛ مئذنة جامع القيروان بتونس ؛ مئذنة المشهد الحسيني بكربلاء بالعراق ؛ مئذنة جامع السماك بالجزائر ؛ مئذنة مسجد أجاديز في النيجر ؛ مئذنة جامع غاردايا ؛ مئذنة جامع الجند في اليمن

ثانياً: اللوحات

1- مئذنة جامع القيروان

2- مئذنة الجامع الكبير بصفاقس

3-مئذنة جامع الكتبية، مراكش

4- الجيرالدا، أشبيلية

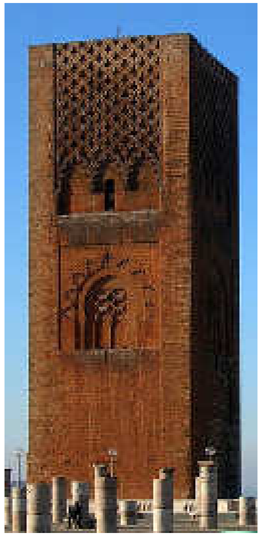
5- مئذنة حسان الرباط

6- مئذنة جامع يونس بغدامس – ليبيا

7- مئذنة سامراء بالعراق

8- مئذنة أبي دلف بالعراق

9- مئذنة جامع بن طولون، القاهرة

10- منارة كليان ببخارى

11- مئذنة جامع الكودوس في أندونيسيا

12- مئذنة جامع دوجوسو، مالي

13- مئذنة المشهد البحري بالشلال، مصر

14- مئذنة الطابية بأسوان، مصر

15- مئذنة مسجد أبي الحجاج بالأقصر، مصر

16- مئذنة الجامع الكبير بإسنا، مصر

17- مئذنة مسجد العدوى بسمنود، مصر

- مئذنة مسجد أبي المكارم بفوه، مصر

19- مئذنة جامع القناتي بفوه، مصر

20- مئذنة الجامع العتيق بسيوة، مصر

21- مئذنة مدرسة الأشرف برسباي، شارع المعز، القاهرة

22- مئذنة مدرسة تغري بردي الرومي، القاهرة

23 – مئذنة مدرسة السلطان إينال بالقرافة، القاهرة

24- مئذنة مسجد تميم الرصافي، القاهرة

25- مئذنة مدرسة السلطان قايتباي بالقرافة، القاهرة

26- مئذنة مدرسة قاني باي قرا الرماح بالقلعة، القاهرة

27- مئذنة مدرسة قرقماس بالقرافة، القاهرة

28- ميدان الرميلة وجامع السلطان حسن بالقاهرة، رسم لديفيد روبرت 1839م

29- مدينة القاهرة وتظهر أنماط مختلفة للمآذن، رسم لديفيد روبرت 1839م

30- ميدان الرميلة باتجاه باب العزب بالقلعة والمآذن العثمانية وقانيباي الرماح، رسم لديفيد روبرت 1839م

31- مئذنة جامع بولاق، رسم لديفيد روبرت

32- قمة مئذنة مدرسة الغوري، القاهرة

33- مآذن جامع أبي الذهب والأزهر بالقاهرة

34 - الجامع الكبير بصنعاء، اليمن

35- جامعا الناصر محمد ومحمد علي بالقلعة، القاهرة

36- مئذنتا خانقاه الناصر فرج بن برقوق، القاهرة

37- مئذنتا جامع المؤيد شيخ بالقاهرة

38- مئذنة دارازياه بأصفهان، إيران

39- مئذنتا مدخل المدرسة الزرقاء بسيواس، تركيا

40- مئذنتا مدخل جامع يزد، إيران

41- مئذنتا مدخل جامع كتشاوة بالجزائر

42- مئذنة جامع ظفار ذيبين بحصن ظفار، اليمن

43 مئذنة جامع العيدروس بعدن، اليمن

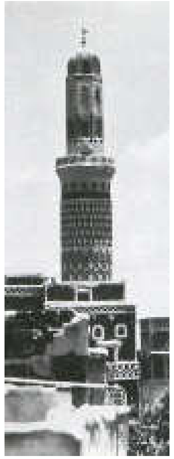

44- مئذنة مسجد صلاح الدين بصنعاء، اليمن

45- مئذنة مسجد الأبهر بصنعاء، اليمن

46- المئذنة الشرقية - الجامع الكبير بصنعاء، اليمن

47- مئذنة مسجد طه وسط مدينة سيئون، اليمن

48- مئذنة الجامع الكبير بأربيل، العراق

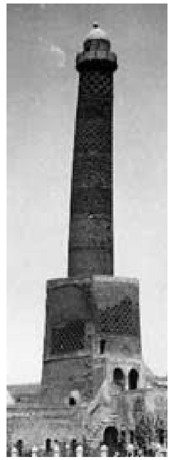

49- منارة جامع نور الدين بالموصل، العراق

50- مئذنة مسجد الجمعة بسافاه، إيران

51- منارة فيروزآباد، إيران

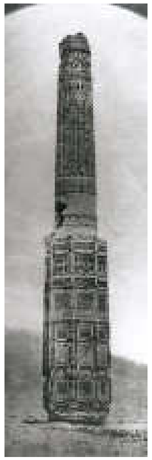

52- مئذنة مسعود الثالث ، أفغانستان

53- مئذنة بهرام شاه، أفغانستان

54- قطب منار ، الهند

55- مئذنة جام، أفغانستان

56- مسجد شاه، أصفهان، إيران

57- جامع بادشاهي فى لاهور- باكستان

58- الجامع الأزرق فى هراة- أفغانستان

59- جامع أتيكار بالصين

60- ضريح تاج محل ، الهند

61- ضريح اعتماد الدولة، الهند

62- المسجد الجامع في نيودلهي، الهند

63- جامع إبراهيم في حيدرآباد، الهند

64- جامع سانكور في تمبكتو، مالي

65- جامع في بوبو ديولاسو، بوركينا فاسو

66 جامع لاربانجا في غانا

67- جامع السليمية بأدرنة، تركيا

68- بقايا مئذنة جامع الوزير
بنافبكتوس، اليونان

69- الجامع اللوطي (مقدمة الصورة)، والجامع (الفوقي)
بنالوت، جبل نفوسة، ليبيا

70- الجامع الفوقي بنالوت،
جبل نفوسة، ليبيا

71- أسطح مدينة غدامس، ليبيا
(المآذن أعلى يمين الصورة لجامع حديث)

72- المآذن العثمانية بمدينة تسيالونيكى، اليونان

73- مئذنة الروتندا، اليونان

74- لوحة حفر على الخشب لجزيرة كريت 1860م، وتظهر بها المآذن العثمانية مهيمنة على منظر المدينة

75- مئذنة جامع سليمان
برودس، اليونان

76- جامع بانيا باشى بصوفيا،
بلغاريا

77- جامع مصطفى باشا فى
سكوبيا، مقدونيا

78- جامع السوق فى
سراييفو،

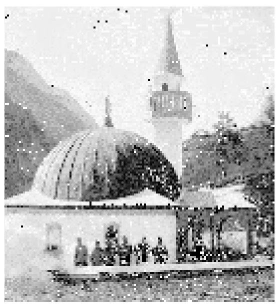

79- مسجد بسلوفينيا دمرته إيطاليا
عقب الحرب العالمية الأولى

80- جامع السلطان محمد جلبى
بديموتيقا، اليونان

81- جامع السلطان، قبرص

82- مدينة إسطنبول ويظهر بها مدى تأثير المآذن في التشكيل البصري للمدينة

82- مدينة القاهرة (ش الصليبة باتجاه القلعة) ويظهر بها مدى تأثير المآذن في التشكيل البصري للمدينة

الحواشى

[1] - عن الآيات والأحاديث والشواهد الأخرى عن عالمية الإسلام ومناقشة هذه الشواهد راجع: عباس محمود العقاد، **الإسلام دعوة عالمية** (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1986م)، 133-137 ؛ عبد الوهاب عبد السلام طويلة، محمد أمين شاكر حلوانى، **عالمية الاسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء** (دمشق، دار القلم، د.ت)، 41-45. وعن سمات وخصائص عالمية الإسلام انظر: أنور الجندى، **عالمية الإسلام**، سلسلة اقرأ (426)، (القاهرة، دار المعارف، 1977م)، 13-19.

[2] - طويلة، حلوانى، **عالمية الإسلام**، 41-42.

[3] - طويلة، حلوانى، **عالمية الإسلام**، 87 وما بعدها.

[4] - أحمد فكري، «**عوامل الوحدة في الآثار الإسلامية بالبلاد العربية**»، منشور في: **المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية بفاس 1959**، القاهرة، مطبوعات جامعة الدول العربية، 1961،ص 267-273 (**أعيد نشره** في: **دراسات في الآثار الإسلامية، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1971، ص1-7**) ؛ صلاح الدين سيد البحيري، **عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون**، الكويت، 1982، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلد 3، عدد 12.

وتوجد دراسات أخرى تناولت مفهوم فكرة العالمية في المدن التاريخية من حيث كون المدينة تمثل منطقة تلاقي الحضارات والثقافات وهذا ينطبق على المدن الكبرى والعواصم التجارية والموانئ الكبيرة، وينعكس ذلك على تخطيطها ومبانيها. وهناك من حاول دراسة أحداث تاريخ العالم وفق منظور العالميةوأ العولمة موضحاً أن المفهوم موجود قديما ويمكن تتبعه في لحظات التحول التاريخية، مبيناً آثار ذلك على دراسة التاريخ بمنهج شمولي جديد. انظر:

M. Baer, «Globalization, Cosmopolitanism, and the Dönme in Ottoman Salonica and Turkish Istanbul», *Journal of World History*, Vol. 18, No. 2 (Jun., 2007), 141-170 ; M. Levine, «Globalization, Architecture, and Town Planning in a Colonial City: The Case of Jaffa and Tel Aviv», *Journal of World History*, Vol. 18, No. 2 (Jun., 2007), 171-198 ; D. Northrup, «Globalization and the Great Convergence: Rethinking World History in the Long Term», *Journal of World History*, Vol. 16, No. 3 (Sep., 2005), 249-267.

[5] - هناك الكثير من الدراسات الأكاديمية فضلا عن الكتب والمقالات باللغة العربية وباللغات الأجنبية تناولت موضوع المآذن ويمكن تصنيفها بحسب منهج التناول إلى: مراجع عن نشأة المآذن وتطورها فى العمارة الإسلامية بصفة عامة، ومراجع تناولت دراسة لمآذن إقليم أو قطر أو مدينة أو طراز دراسة مفصلة (فى الغالب منها تتناول نشأة المئذنة وتطورها ومسمياتها فى المقدمة أو التمهيد) ومنها (مرتبة تاريخياً):

زكى محمد حسن، «تطور المآذن»، **مجلة الكاتب**، السنة الأولى، ج 11، المجلد الثانى، (القاهرة، دار المعارف، سبتمبر 1946م) ؛ فريد شافعى، «مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، ج1 (مايو 1952م) ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المآذن المصرية نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى** (الاسكندرية 1959م)؛ كاظم إبراهيم الجنابي، «المآذن نشأتها وعمارتها في الأقطار الإسلامية»، ***مجلة كلية الشريعة***، ع1، (بغداد 1965م) ؛ محمد كامل فارس، «مآذن حلب وتطورها الفنى والعمرانى»، **مجلة عاديات حلب**، جامعة حلب، الكتاب الثالث، (سوريا 1977م) ؛ محمد الحسينى عبد العزيز، «المآذن والمحاريب والمنابر الإسلامية»، **مجلة الوعى الإسلامى**، العدد 548، (مايو 1980) ؛ عبد المنعم عبد العزيز رسلان، «نشأة المئذنة» ، **مجلة الدارة**، العدد الأول، السنة 11، (الرياض يونيو 1985م) ؛ صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى** (الجزائر 1986م) ؛ محمد توفيق بلبع، «المئذنة نشأتها وتطور عمارتها»، **مجلة المتحف**، السنة الثانية، العدد الثالث، (جمادى الآخرة–رجب 1407هـ/ يناير- مارس 1987م) ؛ حسنى نويصر، «مئذنة بلا مسجد دراسة عن المئذنة المستقلة المنسوبة إلى جامع الأمير قراقجا الحسنى بحارة السادات المتفرعة من درب الجماميز بالقاهرة»، **المؤرخ المصرى**، العدد الأول، كلية الآداب- جامعة القاهرة، (يناير 1988) ؛ حسان عطوان، «المآذن الإسلامية نبض الإيمان وروعة العمارة»، **المجلة العربية**، السنة 15، العدد 166، (ذو القعدة 1411هـ/ يونيو 1991م) ؛ محمود إبراهيم حسين، **المآذن اليمنية دراسة أثرية فنية** (القاهرة، دار الثقافة العربية، 1991م) ؛ عبدالمجيد وافى، «المآذن فى آفاق المدن الإسلامية»، **مجلة الفيصل**، العدد 191، (جمادى الأولى 1413هـ/ نوفمبر 1992م) ؛ أحمد رجب محمد على، «مآذن مصر الإسلامية»، مجلة **الأزهر**، السنة 66، ج 1 (محرم 1414هـ، يوليو 1993م) ؛ عبد الله كامل موسى، **تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربى وحتى نهاية العصر المملوكى – دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى** (دكتوراه، جامعة القاهرة، 1994م)، منشورة بعنوان: **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، مجلدان، (الإسكندرية، دار الوفاء، 2014م) ؛ مجدى عبد الجواد علوان عثمان، **المآذن الباقية بالدلتا حتى نهاية العصر العثمانى دراسة أثرية معمارية** (ماجستير، جامعة طنطا، 1998م)، منشورة بعنوان: **مـــآذن العصرين المملوكي والعثماني فى دلـــتا النيل "دراسة آثارية ضمن حلقة تطورالتراث المعماري الإسلامي في مصر"** (أسيوط، 2013 م) ؛ عبدالكريم عزوق، **تطور المآذن في الجزائر** (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 2006م) ؛ محمد مصطفى محمد الخازمى، **المآذن الليبية في العصر العثمانى من سنة 1551-1911م** (ماجستير، جامعة المرقب، 2008م) ؛ محمد أحمد عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، مجلدان، (الإسكندرية، دار الوفاء، 2012م)،

وباللغات الأجنبية انظر:

R. J. H. Gottheil, «The Origin and History of the Minaret», *Journal of the American Oriental Society*, Vol. 30, No. 2 (Mar., 1910), 132-137 ; K. A. C. Creswell, «The Evolution of the Minaret, with Special Reference to Egypt-I», *The Burlington Magazine for Connoisseurs*, Vol. 48, No. 276 (Mar., 1926), 134-135,137-140. ; «The Evolution of the Minaret, with Special Reference to Egypt-II», *The Burlington Magazine for Connoisseurs*, Vol. 48, No. 278 (May, 1926), 252+256-259 ; «The Evolution of the Minaret, with Special Reference to Egypt-III», *The Burlington Magazine for Connoisseurs*, Vol. 48, No. 279 (Jun., 1926), 290-292+294-298 ; M. S. Briggs, «Mosques And Minarets: An Introduction to Muhammadan Architecture in Persia», *Journal of the Royal Society of Arts*, Vol. 79, No. 4080 (JANUARY 30th, 1931), 246-265 ; C. W. Hobley, «100. An Arab Minaret on Mombasa Island», *Man*,

Vol. 32 (Mar. 1932), 79 ; J. Schacht, «Ein archaischer Minaret-Typ in Ägypten und Anatolien», *Ars Islamica*, Vol. 5, No. 1 (1938), 46-54 ; W. Emerson and R. L. van Nice, «Hagia Sophia and the First Minaret Erected after the Conquest of Constantinople», *American Journal of Archaeology*, Vol. 54, No. 1 (Jan. - Mar., 1950), 28-40 ; J. Sourdel-Thomine, «Deux minarets d'époque seljoukide en Afghanistan», *Syria*, T. 30, Fasc. 1/2 (1953), 108-136 ; K. Sameh, «Minarets in North Africa and Spain», *The Bulletin of the Faculty of Arts*, Cairo University, vol. XV, part II, (Cairo Dec.1953) ; J. Schacht, «Further Notes on the Staircase Minaret, *Ars Orientalis*, Vol. 4 (1961), 137-141 ; W. Trousdale, «The Minaret of Jam: A Ghorid Monument in Afghanistan», Archaeology, Vol. 18, No. 2 (JUNE 1965), 102-108 ; G. R. Mohammad, *The minaret and its relationship to the mosque in early Islam* (Ph. D. Diss., University of Edinburgh, 1965) ; Gh. Rajab, «The Minaret of Ibn Tulun its construction and description», *Sumer*, vol. XXXIII, 1967 ; A. Hutt, «Three Minarets in the Kirman Region», *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, No. 2 (1970), 172-180 ; D. Whitehouse, «Staircase Minarets on the Persian Gulf», *Iran*, Vol. 10 (1972), 155-158 ; J. Moline, «THE MINARET OF ĞĀM (Afghanistan)», *Kunst des Orients*, Vol. 9, H. 1/2 (1973/74), 131-148 ; A. Hutt, *The development of the minaret in Iran under the Saljuqs* (M.Phil. Diss., University of London, School of Oriental and African Studies, 1975) ; J. Moline, «Salğūq Minarets In Iran: Structural Developments», *Kunst des Orients*, Vol. 12, H. 1/2 (1978/1979), 95-102 ; J. M. Bloom, «Five Fatimid Minarets in Upper Egypt», *Journal of the Society of Architectural Historians*, Vol. 43, No. 2 (May, 1984), 162-167 ; D. Behrens-Abouseif, *The Minarets of Cairo*, AUC press, 2nd ed., 1987 ; J. M. Bloom, *Minaret Symbol of Islam*, Oxford University press, 1989 ; E. A. Salem, «The Influence Of The Lighthouse Of Alexandria On The Minarets Of Northafrica And Spain», *Islamic Studies*, Vol. 30, No. 1/2, Special Issue on Muslim Heritage in Spain (Spring-Summer 1991), 149-156 ; J. M. Bloom, «Creswell and the Origins of the Minaret», *Muqarnas*, Vol. 8: K. A. C. Creswell and His Legacy (1991), 55-58 ; C. Williams, «Minaret: Symbol of Islam by Jonathan Bloom», review, *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 24, No. 1 (Feb., 1992), 143-145 ; D. C. Thomas, K. Deckers, M. M. Hald, M. Holmes, M. Madella and K. White, «Environmental Evidence from the Minaret of Jam Archaeological Project, Afghanistan», *Iran*, Vol. 44 (2006), 253-276 ; B. Parzysz, «From One Polygon to Another: A Distinctive Feature of Some Ottoman Minarets», *Nexus Network Journal*, July 2011, Volume 13, Issue 2, 471-486.

ومجموعة من المقالات في موسوعة الإسلام الإصدار الثاني وهي:

R. Hillenbrand, , «MANĀRA, MANĀR. (A.) minaret: 1. In the Islamic lands between the Maghrib and Afghanistan», *IE2*, vol. VI, 361-368 ; G.S.P. Freeman-Grenville, «MANĀRA, MANĀR. (A.) minaret: 3. In East Africa», *IE2*, vol. VI, 370 ; J. Burton-Page, «MANĀRA, MANĀR. (A.) minaret: 2. In India», *IE2*, vol. VI, 368.

هذا فضلاً عن العديد من الدراسات التى تناولت العمارة الإسلامية بصفة عامة وعمارة المساجد بصفة خاصة وتضمنت فصولاً أو أجزاء عن المآذن، ولا يتسع المقام هنا لذكر هذه الدراسات، وسنشير إلى بعضها عند الحاجة فى البحث. وتوجد مجموعة أخرى من الدراسات التى تناولت المآذن من حيث البعد الفقهي المعماري، والبعد التعبيري، ومشكلات عمارة المآذن فى المجتمعات غير الإسلامية، وسنشير إلى كل منها فى حينه أثناء البحث.

[6] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 9-18.

[7] - يطلق على المئذنة في شرق أفريقية (بالسواحلية) منارا وتجمع مينارا، انظر:

Freeman-Grenville, «MANĀRA, MANĀR. (A.) minaret: …», 370.

[8] - محمد عبد الستار عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة** (الإسكندرية، دار الوفاء، 2000م)، 282- 296 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 33-34.

[9] - J. M. Bloom, *Minaret Symbol of Islam*, Oxford University press, 1989, 191.

[10] - كان المسلمون فى الفترة الأولى فى المدينة يجتمعون للصلاة فى المسجد النبوى بغير دعوة لقلة أعدادهم من جهة، ولاستمرار وجودهم ومصاحبتهم للرسول ﷺ معظم الوقت. والقصة المتواترة عن الأذان أنه جاء لاحقا عندما انتشر الإسلام بين أهل المدينة والقبائل حولها. وأنه بعد تحير المسلمين فى كيفية دعوة المسلمين وقت الصلاة وإعلامهم بحلول وقتها فكانت رؤية الصحابى عبد الله بن زيد الخزرجى الأنصارى بصيغة الآذان والتى أقرها الرسول وأمر بلالاً أن يؤذن على ما رآه عبد الله. انظر: ابن هشام ، **سيرة ابن هشام**، 1329هـ، ج2، 101-102 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 27-29.

[11] - تمثل صيغة الآذان عند الشيعة استثناءً حيث تضاف عبارة "حي على خير العمل" بعد عبارة "حي على الفلاح"، وتردد مرتين شأن بقية عبارات الآذان وتقال ، وعند معظم الشيعة من المستحبات الأكيدة وليست من أجزاء الأذان إضافة عبارة "أشهد أن عليا ولي الله" بعد "أشهد أن محمدا رسول الله" وتردد مرتين شأن بقية الأذان.

[12] - عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية**، 284 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 33-34.

[13] - **وثيقة وقف السلطان حسن** 881 أوقاف ؛ عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية**، 282- 283 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 34.

[14] - عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية**، 282- 296 ؛ حسني محمد نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك** (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1996م)، 249 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 33-36.

[15] - ابن هشام ، **سيرة ابن هشام**، ج2، 101-102 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 56- 57 ؛ محمد عبد الستار عثمان ، عوض عوض محمد الإمام، «عمارة المساجد فى ضوء الأحكام الفقهية: دراسة تطبيقية أثرية»، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م 8 أ، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (1419هـ/1999م)، 145.

[16] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 59-61.

[17] - يحيى بن الحسين، **غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى**، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، دار الكتاب العربى، 1968م)، ج1، 3-11.

[18] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 59-61.

[19] - البلاذرى، **فتوح البلدان**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م)، 342-343 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 61-63 ؛ Hillenbrand, R., «MANĀRA …», 362.

[20] - البلاذرى، **فتوح البلدان**، 343.

[21] - أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات العربية، للمزيد انظر: أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها. المدخل**، القاهرة، دار المعارف بمصر، ط1، 199-200.

[22] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 68-71 .

[23] - Creswell, «The Evolution of the Minaret,…-I», p.137.; Hillenbrand, R., «MANĀRA …», 362-263.

[24] - انظر المراجع بحاشية 5 ، وخاصة: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 53-64 ؛ Gottheil, «The Origin and History of the Minaret», 132-137 ; Creswell, «The Evolution of the Minaret, … Egypt-I», 134-135,137-140 ; Schacht, «Ein archaischer …», 46-54 ; Bloom, «Creswell and the Origins of the Minaret», 55-58 ;

[25] - أتفق فى هذا مع رأي د. أحمد فكرى في هذا الطرح، انظر: أحمد فكرى، **المسجد الجامع بالقيروان** (القاهرة، دار المعارف، 1936م)، 111.

[26] - تتأثر تخطيط المنشآت والعناصر المعمارية فى العمارة الإسلامية بصفة عامة بجملة من العوامل المؤثرة؛ لكن تظل الوظيفة هى العامل الأكثر تأثيرا لأنها بدورها تؤثر فى بقية العوامل بصورة أو بأخرى، عن انعكاس الوظيفة على المآذن تطبيقا على المئذنة المملوكية فى القاهرة انظر: عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية**، 282- 296 ؛ وعن العوامل المؤثرة بصفة عامة على تخطيط العمائر الدينية انظر: حسنى نويصر، «عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية»، **ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية**، نشر لجنة التاريخ والآثار، المجلس الأعلى للثقافة، تاريخ المصريين، العدد الخامس، 1991م، (تطبيقاً على العمائر المملوكية)؛ وتطبيقاً على العمارة العثمانية انظر: ياسر إسماعيل عبد السلام صالح، **العوامل المؤثرة على مخططات العمائر الدينيه العثمانية في القاهرة والوجه البحرى** (ماجستير، جامعة القاهرة، 2001م).

[27] - انظر حاشية رقم 5 بهذا البحث

[28] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 70.

[29] - يذكر د. عبد الله كامل أن مئذنة جامع القيروان استنادا للأدلة المعمارية تؤرخ بسنة 221هـ/ 836م ، وفى هذه الحالة تعد ثاني أقدم مئذنة باقية بعد منارة قصر الحير الشرقى فى بلاد الشام والمؤرخة بسنة 110هـ/ 730م. انظر : موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 72.

[30] - تتوسط المئذنة الجدار الشمالى لمسجد القيروان، وتتكون من ثلاثة طوابق يعلوها قبة مفصصة، ويتكون الطابق الأول من قاعدة مربعة المسقط تستدق كلما ارتفعنا لأعلى مما يكسب المئذنة قوة وارتكازاً، وبنيت قاعدة المئذنة حتى ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف من مداميك حجرية صغيرة تشبه قوالب اللبن،وينتهى هذا الطابق من اعلاه بشرفات على هيأة عقود متصلة مفرغة من وسطها. والطابق الثانى من المئذنة مربع المسقط أيضا،مساحته أصغر من الطابق السفلى وتزدان جدرانه بثلاث طاقات معقودة وحليت حافة الطابق بشرفات تشبه الموجودة بالطابق الأول. ويتكون الطابق الثالث من برج عالٍ فتح بكل ضلع من أضلاعه شباك معقود يكتنفه دخلتان معقودتان مسدودتان وركبت القبة فوق هذا البرج، وهي قبة أضلاع مفصصة لها قطاع نصف دائري. وللمئذنة فتحات تظهر ضيقة من الخارج متسعة من الداخل للإنارة والتهوية، وتعلوها من خارج المئذنة عقود تشبه حدوة الفرس لتخفيف الضغط. ويدور بداخل المئذنة سلم ضيق يرتفع مع ارتفاع البناء ويتناسب مع حجمه، فكلما ارتفع ضاق. انظر:
كمال الدين سامح، **العمارة في صدر الإسلام**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص 122، 174، شكل 84 ؛ حسني نويصر، **الآثار الاسلامية** (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1998)، 116.

[31] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 72.

[32] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 70.

[33] - يذهب شرودر إلى أن مآذن المساجد المبكرة في إيران كانت تتبع نفس التخطيط مربع المسقط المميز للمآذن في العصر الأموي في سوريا وأفريقية، انظر: Hillenbrand, R., «MANĀRA …», 365.

[34] - Creswell, «The Evolution of the Minaret,…-I», p.137-140.; Hillenbrand, R., «MANĀRA …», 364.

[35] - سامح، **العمارة في صدر الإسلام**، 174- 182.

[36] - شهد تاريخ بناء المئذنة ثلاث مراحل متتالية، شملت فترة حكم الخلفاء الثلاثة الأوائل، إذ بدأت أعمال البناء على عهد مؤسس الدولة عبد المؤمن بن علي سنة 548 هـ/ 1153 واستمرت تلك الأعمال في فترة حكم أبي يعقوب يوسف (558 - 580 هـ/ 1162- 1184م) وتمت أشغال البناء نهائياً أيام أبي يوسف يعقوب المنصور (580 - 595 هـ/1198 - 1184م) الذي أكمل القسم الأعلى من المئذنة، وهو ما يفسر لنا أهمية هذا العمل المعماري الخالد وضخامته. انظر: بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية**، 50 وما بعدها.

[37] - «**مسجد الحسن الثاني تحفة معمارية خالدة**» ، مأرب برس، [http://marebpress.net/articles.php?id=1604&lng=arabic]

[38] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 246 ، ويذكر د حسنى نويصر أن ارتفاعها 81.6 متراً ، انظر: . نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 211.

[39] - ابن تغرى بردى، **حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور**، تحقيق محمد فهيم شلتوت (القاهرة، 1990)، ج1، 433 ؛

[40] - عن أقوال المؤرخين والرحالة عن جامع السلطان حسن، وثنائهم وانبهارهم بعمارته وكذلك بمآذنه انظر:
هرتس باشا، **تاريخ جامع السلطان حسن** (مصر، بولاق، 1902م)، 15- 16 ؛ حسن عبد الوهاب، **جامع السلطان حسن وما حوله**، المكتبة الثقافية العدد 56،(القاهرة، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، أول مارس 1962م) ، 11- 12 ؛ محمد، **مساجد مصر**

وأولياؤها، ج 3، 276 ؛ حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م) ط2، 166-169.

41 - أوليا جلبى (1611-1682؟)، **سياحتنامه مصر**، ترجمة محمد على عونى، تحقيق: عبد الوهاب عزام، أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة: أحمد فؤاد متولى (القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 2009م)، 282.

42 - يؤخذ على كتابات الرحالة إيفليا جلبى المبالغة أحيانا والمعلومات غير الدقيقة التى يذكرها أحيانا أخرى، ويختلف عدد درجات السلم المؤدى للصحن وعدد درجات سلم المئذنة عن العدد الذى ذكره إيفليا، وهو طبقاً لدراسة د. عبد الله كامل سلم من 100 درجة حجرية حتى سطح المسجد (المدرسة الحنفية)، ثم سلم من 30 درجة يقود لسلم المئذنة من الداخل والذى يحوى 126 درجة ثم يبدأ عندها سلم حديدى من 30 درجة حتى السقف الخشبى يؤدى إلى الشرفة الأخيرة للمئذنة والرقبة الحجرية، انظر: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 246-247، 252-254.

43 - يمثل منار (مئذنة) قطب الدين أشهر نماذج المآذن المستقلة بالهند وأقدمها، بدأ بناءها السلطان قطب الدين أيبك –مؤسس دولة المماليك في الهند– حوالي سنة 595هـ/1199م، واكتمل بناؤها حوالي سنة 626هـ/1229م ألتمش سلطان دلهي. ويعد منار قطب الدين أشهر مآذن الهند، ويتكون من خمسة طوابق يفصل بينها شرفات مستديرة محمولة على مقرنصات، ويستدق بدن المئذنة مع الارتفاع، وينتهي الطابق الأخير بخوذة على شكل قبة مضلعة. وهذه المئذنة "المنار" تخدم مسجد قوة الإسلام (589هـ/1192) بالجهة الجنوبية الغربية من دهلي، ولشهرة المئذنة يعرف المسجد ككل بمسجد قطب منار. انظر:

R. Hillenbrand, *Islamic Architecture Form, Function and Meaning*, Edinburgh, 1994, 158 ;

أحمد رجب محمد علي، **تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1997، 32-39، خاصة 35-36، 288.

44 - Hillenbrand, *Islamic Architecture*, 148-161.; Ralph Pinder-Wilson, «Ghaznavid and Ghurid Minarets», *Iran*, Vol. 39 (2001), 155-186.; Janine Sourdel-Thomine, «Deux minarets d'époque seljoukide en Afghanistan», *Syria*, T. 30, Fasc. 1/2 (1953), 108-136 ; J. Moline, «Salğūq Minarets In Iran: Structural Developments», *Kunst des Orients*, Vol. 12, H. 1/2 (1978/1979), 95-102

45 - Antony Hutt, «Three Minarets in the Kirman Region», Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 2 (1970), pp.172-180, esp. 172-174 ; M. B. Smith, «The Manars of Isfahan», in: *Athar-e Iran I* (1936) 313-58.

46 - J. Moline, «THE MINARET OF ĞĀM (Afghanistan) », *Kunst des Orients*, Vol. 9, H. 1/2 (1973/74), pp. 131-148.

47 - J. Burton-Page, «MANĀRA, MANĀR. (A.) minaret: 2. In India», *IE2*, vol. VI, 368.

48 - انظر حاشية 43.

49 - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 41، لوحة 12.

50 - قد تختلف بعض التفاصيل فنجد الطابقين بعد القاعدة المربعة قد يكونا كلاهما مثمناً (مئذنة جامع السلطان حسن 757-764هـ/1356-1362م بالقاهرة، شكل 1 "د")، أو كلاهما مثمن ويعلوهما طابق ثالث مثمن كذلك (مئنة التربة السلطانية حوالى 757-762هـ/ 1356-1360م، بقرافة سيدي جلال الدين السيوطي بالسيدة عائشة)، أو طابق مثمن ويعلوه طابقان أسطوانيان (مئذنة جامع بشتاك 737هـ/1337م) أو يتبادلان مع بعضهما أي طابق مثمن يعلوه طابق أسطواني ثم ثالث مثمن ثم القمة (المئذنة القبلية ق 8هـ/ 14م، بقرافة سيدي جلال الدين السيوطي بالسيدة عائشة). انظر: نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 247-248 ؛ موسى، **المآذن في العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 116-123.

51 - عن المآذن اليمنية انظر: محمود إبراهيم حسين، **المآذن اليمنية دراسة أثرية فنية** (القاهرة، دار الثقافة العربية، 1991) ؛ علي سعيد سيف، **مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي (صنعاء**، وزارة الثقافة والسياحة، 2004م) ؛

B. Finster, «An Outline of the History of Islamic Religious Architecture in Yemen», *Muqarnas*, Vol. 9 (1992), 132, 139 ; Trevor Marchand, «Reconsidering the role of the mosque minaret in Ṣanʿāʾ», *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, Vol. 29, Papers from the thirty-Second meeting of the Seminar for Arabian Studies held in London, 16-18 July 1998 (1999), 96-101.

52 - حسين، **المآذن اليمنية**، 56-59.

53 - حسين، **المآذن اليمنية**، 12-13، 17-18، 22-23، 29-32، 34-35، 35-35، لوحات 1-4، 6، 8-15، 18-21.

54 - استمر الطراز المملوكي (أو المصري أو المحلي) في العصر العثماني في تخطيط العمائر الدينية والمدنية على السواء، حيث كانت له الغلبة والسيادة، مقارنة بالعمائر التي صممت وفق التخطيط العثماني الوافد (أو التركي)، ويرجع سبب ذلك لأسباب عدة، منها فلسفة الحكم العثماني ذاتها، وثقل التراث المعماري الموروث وخبرات المعماريين والحرفيين، للاستزادة راجع: محمد حمزة إسماعيل الحداد، **الطراز المصري لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثماني923-213هـ/1517-1798م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة،1990م، 2-22 ؛ "**عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى**"، *مجلة الجمعية التاريخية المصرية*، العدد 37، 1993م، 107-108.

55 - عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، المجلد الثانى، 799 – 800.

56 - الإسلامبولى نسبة إلى إسلامبول أو إستانبول، انظر: جلبي، **سياحتنامه مصر**، 283، 300، 304، والرومي 298، 306، والتركي أو طراز جوامع الترك 297، 298.

57 - مصطلح يطلق في الوثائق المملوكية على قمة المئذنة، كما يطلق على قمة القبة والمنبر. انظر: محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم، **المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية** (القاهرة، دار النشر بالجامعة الأمريكية، 1990م)، 43.

58 - مصطلح وثائقي ورد في الوثائق العثمانية يدل على القمة المخروطية للمئذنة. انظر: **وثيقة سنان باشا**، أرشيف الأوقاف رقم (2869)، ص 1، منشورة فى: على محمود سليمان المليجى، **الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية** (دكتوراة، جامعة أسيوط، 1980م)، ملحق رقم 3، 420-423.

[59] - المبخرة مأخوذ من الكرة التى تتجمع فيها سلاسل مبخرة البخور، وقد أطلق كريزول هذا المصطلح على قمة المآذن صاحبة هذا الشكل، وتبعه في ذلك جميع الباحثين، ويعتقد د حسنى نويصر أن مصطلح المبخرة ليس دقيقاً في توصيف شكل قمة المئذنة فعليا التي يطلق عليها هذا المصطلح، وأيا كان فقد اكتسب المصطلح دلالة في كتابات الآثاريين تحمل هذا الشكل المعماري حتى وإن لم يكن دقيقاً.

[60] - أحمد رجب محمد على، «الهلال فوق المئذنة»، **مجلة الأزهر**، (صفر 1416هـ/ يوليو 1995م)، 1491-1494.

[61] - نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 249 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 168-169.

[62] - الأمير محمد بك أبو الذهب اعتمد عليه علي بك الكبير الذى استقل بحكم مصر عن الدولة العثمانية في الفترة (1183-1187هـ/ 1769-1773م)، ثم حدث صراع بين أبي الذهب وعلي بك الكبير انتهى بموت علي بك الكبير وانتصار محمد أبي الذهب بحكم مصر الفعلي رغم عودة مصر الشكلية للدولة العثمانية وتولية خليل باشا واليا على مصر، واستمر الأمر كذلك حتى وفاة أبي الذهب في عكا سنة 1189هـ/ 1775م. للاستزادة عن ترجمة محمد أبي الذهب انظر: عبد الرحمن بن حسن الجبرتى (1168-1238هـ/ 1755-1823م)، **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1998م)، ج1، 407-409 ؛ محمد خليل بن علي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت) ج1، 54-57 ؛ وعن الجامع انظر: المليجى، **الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة**، 360-374. وعن المئذنة انظر: عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، المجلد الثانى614، 617.

[63] - حفظت لنا صورة مرسومة للرحالة بريس دافن تمثل مآذن الجامع الأزهر ومئذنة جامع محمد بك أبي الذهب بقمتها ذات الرؤوس الخمسة. عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، المجلد الأول، 800- 801.

[64] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 68-69.

[65] - محمد عبد الستار عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، منشور فى: **المؤتمر الدولى الأول للتراث العمرانى فى الدول الإسلامية** "تنمية اقتصادية لتراث عمرانى نعتز به" فى الفترة (9-14 جمادى الآخره 1431هـ/ 23- 28 مايو 2010م)، (الرياض، الهيئة العامة للسياحة والآثار)، 13.

[66] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 289.؛

Hillenbrand, *Islamic Architecture*, 161 ; Burton-Page, «MANĀRA, …», 368.

[67] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 222.

[68] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 263.

[69] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 175، شكل35.

[70] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 257، شكل49.

[71] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 172، شكل 34ب.

[72] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 269، لوحة 94-95.

[73] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 222.

[74] - كانت مآذن جامع عمرو بن العاص الأولى من اللبن، ومأذنة أحمد بن طولون الأصلية بنيت من الآجر، ثم أعاد السلطان لاجين بناءها بالحجر. وساد البناء فى العصر الفاطمي والأيوبي بصفة غالبة بالآجر مع وجود بعض الاستثناءات، فالجزء السفلي الباقي من المئذنة الأيوبية الباقية بالمشهد الحسيني بالقاهرة من الحجر. للمزيد انظر: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 96- 99.

[75] - فى بدايات العصر المملوكي البحري كانت تبنى قواعد المآذن بالحجر، والأجزاء العلوية بالآجر لتخفيف الأحمال، ثم صارت المئذنة تبنى بالكامل من الحجر، انظر: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الثانى، 99- 104.

[76] - عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، المجلد الثانى، 694- 703.

[77] - الآجر (الطوب الأحمر) يمثل المادة الرئيسية لبناء المآذن فى الدلتا بنسبة 94.4 % حيث ندر استعمال الحجر، فلم يستخدم الحجر بصورة كاملة سوى في بناء ثلاث مآذن فقط (منارة التوبة بالمحلة الكبرى، والسادات ببلبيس ،والمحمودية بالمنصورة وهي المنارة الوحيدة المكتملة)، وقد استخدم الحجر جنبا إلى جنب مع الآجر فى بناء ثلاث مآذن (منارة زغلول الغربية، ومنارة الجندي برشيد، ومنارة حماد بميت غمر)، للاستزادة عن استخدام الآجر وتقنيات البناء ومسمياتها والتشكيلات الزخرفية بالآجر انظر: علوان عثمان، **مـــآذن العصرين المملوكي والعثماني**، 196-201.

[78] - مثل الجامع العمرى بسيوة ومئذنته مخروطية الشكل مبنية من اللبن والطمى، انظر: سعاد ماهر محمد، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون** (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1971م)، ج 1، 262.

[79] - النورة خليط من الجير والماء. وهي تقابل الجص أو الجبصين في الشام ومصر. انظر: أمين؛ إبراهيم، **قاموس المصطلحات الأثرية**، 120.

[80] - نافبكتوس ثانى أكبر مدينة بمحافظة آيتوكارنانيا باليونان، وتبعد عن مدينة بترا حوالى 15كم، وتعرف بالتركية باسم عين بخت، فتحها العثمانيون سنة 1499م. للمزيد انظر:

Γ. Χ. Μαρίνου, «Η αρχιτεκτονική της Ναυπάκτου κατά την Ενετοκρατία και την Τουρκοκρατία»", *Ηπειρωτικά Χρονικά* 27 (1985), 127-138, esp. 127-131 ; Babinger, F., «Aynabakhtî», *EI* vol.1 A-B (Leiden 1986), 790 ; A. Πετρονώτης, «Οθωμανικά αρχιτεκτονήματα Ναυπάκτου (*Inebahti*)», *Ναυπακτιακά 6*, 1992-93, Εταιρεία Ναυπακτιακών Μελετών, 221-352, esp. 221-222.

[81] - Ameen A. M., «Byzantine Influences of the Ottoman Architecture of Greece: the case of the Mosques at Nafpaktos », in: ***ANTAPODOSI****: Studies in Byzantine and Post-Byzantine Archaeology and Art in Honour of Professor Helen Deliyianni-Doris*, Athens, 2010, 38, 42-45.

[82] - عثمان، **نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية**، 282- 284 ، 301-304.

[83] - عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، 15.

[84] - نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 155 ؛ محمد عبد الستار عثمان، «أحكام ضرر الكشف وأثرها على العمارة الإسلامية دراسة أثرية فى مصدر فقهى (كتاب الإعلان بأحكام البنيان) لابن الرامى»، **دراسات وبحوث فى الآثار والحضارة الإسلامية (الكتاب التقديرى للآثارى عبد الرحمن عبد التواب)**، المجلس الأعلى للآثار، ج 2، 2001م، حاشية 106 ؛ عبد اللطيف، **موسوعة المآذن العثمانية**، المجلد الأول، 26.

[85] - علوان عثمان، **مـــآذن العصرين المملوكي والعثماني**، 22.

[86] - Marchand, «Reconsidering the role of the mosque minaret in Ṣanʿāʾ», 95-102, esp. 97-99.

[87] - موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 352- 354، 566-567 حواشى: 23، 24.

[88] - ظاهرة معمارية خصت مآذن منشآت السلطان الغورى وأمرائه، انظر: نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 249.

[89] - يعتقد د عبد الله كامل أن سبب هدم المئذنة وإعادة بناء جديدة مكانها كان بسبب الرغبة فى المحافظة على السمة المعمارية المميزة للمئذنة القديمة وهى السلالم التى تلتف حولها من الخارج، وأعتقد أن السبب كان نسبة البناء للسلطان لاجين، ولا يقتصر الأمر على مجرد ترميم أو تعمير شأن الجامع، وإلا فكان الأولى أن يحافظ عليها ويقوم بترميمها. انظر: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 99 ، وعن المئذنة وعمارتها 89- 100؛ فريد شافعى، «مئذنة مسجد ابن طولون، رأى فى تكوينها المعمارى»، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، ج1 (مايو 1952م).

[90] - عن عمارة المئذنة وترجمة الأمير يشبك، والإمام الليث انظر: موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 474- 479.

[91] - السيد عبد العزيز سالم، **القاهرة مدينة المآذن**، مجلة *المجلة*، (العدد 16، 1958م).

[92] - Bierman, A. I., «The Ottomanization of Crete», in: *The Ottoman City and Its Parts: Urban Form and Social Order*, A Colloquium, (ed.) Bierman, I., Abou-El-Haj, R., and Preziosi D., New York 1991, 53- 75 ; Koumarianou, M., «Mosques with in a process of Ottomanization in the city of Mytilene-Greece», in: *Proceedings of the symposium on Mosque Architecture*, vol. 2 (Riyadh 1999), 113- 127.

93 - وغير بعيد عن هذا الإطار القرار الذي اتخذته سويسرا بعد استفتاء شعبي في 29-11-2009 بحظر بناء المآذن في سويسرا وذلك لعدم صبغ المدينة بالصبغة الإسلامية. أو رفض الحكومة اليونانية لمطلب الجالية الإسلامية في أثينا ببناء مسجد لهم رغم الوعود على مدار نحو 20 سنة ببناء المسجد، ورغم قرار الحكومة في 2006 بالموافقة على بناء المسجد وعمل ميزانية له، ورغم موافقة البرلمان اليوناني في سبتمبر 2011م على بناء مسجد كبير بأثينا، إلا أنه حتى الآن لم تتخذ أي إجراءات لبناء هذا المسجد، ورفع بعض اليونانيين المتشددين قضية لمنع بناء المسجد. انظر:

Nilüfer Göle, «The silent symbols of Islam and their importance in the European public sphere», published in Tuesday, 29 December 2009, [http://www.resetdoc.org/story/00000001567 Access date 20-12-2012] ; Walker Martin, «Europe's Mosque Hysteria», *The Wilson Quarterly* (1976), Vol. 30, No. 2 (Spring, 2006), 14-22 ;

اليونان: الكنيسة تعيق بناء مسجد في أثينا، منشور في: http://www.alukah.net/World_Muslims/0/37210/

[94] - وتعرف أيضا بمنطقة جنوب شرق أوروبا. وتستمد منطقة البلقان اسمها من اسم سلسلة جبال البلقان الممتدة من الغرب إلى الشرق، وتقسم بلغاريا إلى قسمين. وتعني البلقان في التركية المكان المنحدر المغطى بالغابات. وتشمل منطقة البلقان عدداً من الدول تقع بأكملها في البلقان وهي ألبانيا، البوسنة و الهرسك، بلغاريا، الجبل الأسود، كوسوفو، مقدونيا، و اليونان، ويضاف إليها عدد من الدول تقع أجزاء من أراضيها داخل منطقة البلقان وتشمل: صربيا، كرواتيا، سلوفينيا، رومانيا، و تركيا. وتمثل الديانتان المسيحية (بمذهبيها الأرثوذوكسى والكاثوليكى) والإسلام الديانتين الرئيستين السائدتين في منطقة البلقان. والعدد الأكبر من سكان منطقة البلقان (اليونان، صربيا، بلغاريا، رومانيا، مقدونيا) يتبعون المذهب الأرثوذوكسي، ويمثل المسلمون ثاني أكبر طائفة دينية بالبلقان – بعد الأرثوذوكسية – ويتمثل أتباعها في الأتراك، و قسم كبير من الألبان، و البوسنيين، و البوماك، التتار، و الطائفة الغورانية. دخول الأتراك لمنطقة البلقان كان فى فترة مبكرة قبل العثمانيين واعتنقوا المسيحية، وتوطنوا بالبلقان. ويمثل دخول العثمانيين لمنطقة البلقان وبداية صبغ البلقان بالصبغة العثمانية الإسلامية في منتصف القرن 8هـ/14م وتوجت هذه المرحلة بعد نحو قرن من الزمان بحدث فاصل فى تاريخ الدولة العثمانية وأوربا بصفة عامة وهو فتح القسطنطينية 857هـ/ 1453م. وفي النصف الثانى من القرن ال19م اشتدت الصراعات في منطقة البلقان، وبدأت الثورات ضد الدولة العثمانية ما أدى إلى حروب البلقان الأولى والثانية، وخرجت منطقة البلقان من تحت سيطرة الدولة العثمانية تباعاً في الفترة أواخر القرن 19 وبدايات القرن 20م وتقريباً مع بدايات الربع الثانى من القرن 20م انحصرت الدولة العثمانية في تركيا الحالية، وأخذت البلقان شكلها الحالى، وتبع خروج الدولة العثمانية من البلقان حركات انتقامية انعكست على المسلمين والآثار الإسلامية في البلقان. للمزيد راجع:

H. İnalcik, «BALKAN», IE^2, vol. II (Leiden 1986), 998- 1000.

95 - عن مظاهر التحول لمدن الأندلس (أسبانيا) من مدن إسلامية لمدن كاثوليكية وتحويل المساجد لكنائس وهدم المآذن أو استخدامها كأبراج للكنائس ووضع الصلبان عليها في ضوء دراسة خرائط القرن 16م انظر:

L. Beck, *16th century religious signs and symbols throughout the lands of Spain*, Ph.D. Thesis, The University of Western Ontario (Canada), 2008, pp. 202-238.

[96] - *The Cultural imperialism of Greece and the Turkish-Islamic works*, Ankara 1986, pp. 1-56.

[97] - E. H. Ayverdi, *Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri IV: Bulgaristan, Yunanistan, Arnavutluk* (= The Ottoman Architectural Works in Europe IV: Bulgaria, Greece, Albania), Istanbul Fetih Cemiyeti, Istanbul 1982.

[98] - M. Kiel, *Ottoman architecture in Albania*, Istanbul 1990.

99 - S. Schwartz, «The Heritage of Ottoman Islam in the Balkans», Presented to: Indiana University Bloomington Conference "The Turks and Islam" September 12, 2010, revised January 2012, [http://www.islamicpluralism.org/1663/the-heritage-of-ottoman-islam-in-the-balkans Access date 21-12-2012]

[100] - E. H. Ayverdi, *Avrupa'da Osmanhs Mimiri Eserleri, Romanya, Macaristan* (= The Ottoman Architectural Works in Europe, Romania, Hungary), Istanbul, Fetih Cemiyeti Yayinlari, n.d.

[101] - G. Gerő, *Az oszmán-török építészet magyarországon* [Ottoman Turkish architecture in Hungary], Művészettörténeti füzetek, 12. Budapest, Akadémiai Kiadó, 1980. ; G. Fehérvári, «A Major Study on

Ottoman Architecture in Hungary», *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 45,No. 1 (1982), pp. 67-73.

[102] - يذكر الرحالة التركى الشهير إيفليا جلبى فى ستينيَّات القرن السابع عشر الميلادي أن مدينة ثيسالونيكى كان يوجد بها عدد 32 جامعاً و150 مسجداً والعديد من المدارس، ومع الأخذ فى الاعتبار أن العمران ظل مستمرا حتى بدايات القرن العشرين فآخر جامع بُني بمدينة ثيسالونيكي هو جامع الحميدية أو الجامع الجديد (المتحف الأثري حاليّاً) شيد سنة 1319هـ/1901-1902م، فهذا يعكس كم المنشآت الدينية وكم كان عدد المآذن بالمدينة، للمزيد راجع:

Evliya Çelebi, (1611?-1682?), *Seyahatname*, Istanbul (1928), Book 8, 142-169 ; Ayverdi., *Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri IV:,* 269-281 ; İ. Bıçakçı, *Yunanistan'da Türk mimari eserleri*, önsöz: Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul 2003, 302-335.

[103] - علي، **تاريخ وعمارة المساجد**، 41، لوحة 12.

[104] - تم بناء ثلاث مآذن حتى افتتاح الجامع، وأرجئت المئذنة الرابعة ضمن بعض الأعمال التكميلية، ولكن ألغيت بعد ذلك عند سقوط المئذنة أعلى المدخل وتسببها فى مقتل عدد كبير. انظر: نويصر، **العمارة الإسلامية في مصر**، 211 ؛ موسى، **المآذن فى العمارة المصرية والعالم الإسلامى**، المجلد الأول، 240.

[105] - استخدم الحجر فى الدلتا بصورة كاملة في بناء ثلاث مآذن فقط، واستخدم مع الآجر فى ثلاث مآذن أخرى، انظر: علوان عثمان، **مـــآذن العصرين المملوكي والعثماني**، 196.

[106] - A. Kuran, *The mosque in early Ottoman architecture* (Chicago 1968), 61-62, figs. 53-57 ; G. Goodwin, , *A history of Ottoman architecture* (London1971), 20-21, figs. 9-10.

[107] -Kuran, *The mosque in early*, 196 ; O. Aslanapa, *Turkish Art and Architecture* (London - New York 1971), 200.

[108] - A. Kuran, *Sinan: The Grand Old Master of Ottoman Architecture* (Istanbul 1987), 138-149 ; M. Sözen, *Arts in the age of Sinan*, photographed by Güner S., (Istanbul 1988), 182-195, 295-299, 306-311 ; G. Goodwin, *Sinan: Ottoman Architecture and its Values Today* (London1993), 49-53 ; H. G. Egli, *Sinan: An Interpretation* (Istanbul 1997), 56-62, 84-87, 89-91 ; R. Gunay, *Sinan: The Architect and His Works* (Istanbul 2009[5]), 41-52, 91-92.

[109] - W. Madelung, «ZAYDIYYA», *IE*[2], vol. XI (Leiden 2002), 477-481 ; G.R. Smith, «AL-YAMAN[3. History, (a) From pre-Islamic times to 1962]», *IE*[2], vol. XI (Leiden 2002), 271- 274.

[110] - قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة 250هـ في أرض الديلم وطبرستان (شمال إيران حالياً). وقاد الزيدية فى طبرستان الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي رضي الله عنهما والملقب بالناصر للحق والمشهور باسم الأُطروش (230- 304هـ/800-917م) والجدير بالذكر أنه ألف كتاباً فى الحسبة، يمثل مرجعية الزيدية تجاه قضية بناء المآذن. انظر:
Madelung, «ZAYDIYYA», 478 ; Marchand, «Reconsidering the role of the mosque minaret in Ṣanʿāʾ», 98.

[111] - R.B. Serjeant, «An early Zaydï manual of hisba», *Rivista Degli Studi Orientali* 28, (1953), 1-34.

[112] - Serjeant, «An early Zaydï manual of hisba», 16 ; Marchand, «Reconsidering the role of the mosque minaret in Ṣanʿāʾ», 98.

[113] - R.B. Serjeant & R. Lewcock, *Ṣanʿāʾ: an Arabian Islamic City* (London 1983, World of Islam Festival Trust), 372 ; Finster, «An Outline of the History …», 132 ; Marchand, «Reconsidering the role of the mosque minaret in Ṣanʿāʾ», 99-100.

[114] - السمهودى، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** (بيروت، ط 2، 1971م)، ج2، 625 ؛ عثمان، «أحكام ضرر الكشف...»، 119 ؛ خالد عزب، **فقه العمران "العمارة والمجتمع والدولة فى الحضارة الإسلامية"** (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2013م)، 106.

[115] - عثمان، «أحكام ضرر الكشف ...»، 118-119.

[116] - عزب، **فقه العمران**، 106.

[117] - T. LEWICKI, «AL-IBĀḌIYYA», *IE*[2], vol. III (Leiden 1986), 648- 660.

[118] - محمد سالم المقيد الورفلى، **بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة بليبيا** (موقع تاولت الثقافى، د.ت)، 101.

[119] - عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، 13.

[120] - عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، 13.

[121] - المقصود قصر التخزين وهو مبنى بمركز مدينة نالوت القديمة وفى أعلى نقطة بها، ويطلق عليه القصر أو قصر نالوت، وكان لغرض تخزين القمح والشعير لعائلات المدينة وفق نظام معين، وهو يشبه الحصن أو القلعة. انظر: الورفلى، **بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة**، 67-70.

[122] - الورفلى، **بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة**، 61.

[123] - الورفلى، **بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة**، 76.

[124] - الورفلى، **بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة**، 76.

[125] - عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، 13-14.

[126] - عثمان، «فقه العمارة الإسلامية بين البحث والتعليم»، 14-15 ؛ عثمان ، الإمام، «عمارة المساجد فى ضوء الأحكام ...»، 147 ؛ عثمان، «أحكام ضرر الكشف ...»، 119 ؛ عزب، **فقه العمران**، 107-108، 208-209.

[127] - عثمان ، الإمام، «عمارة المساجد فى ضوء الأحكام ...»، 147 ؛ عثمان، «أحكام ضرر الكشف ...»، 119.

[128] - M. H. Daza, *Understanding The Traditional Built Environment: Crisis, Change, And The Issue Of Human Needs In The Context Of Habitations And Settlements In Libya* (Ph.D. thesis, University of Pennsylvania, 1982), 106-108.

[129] - محمد مصطفى محمد الخازمى، **المآذن الليبية فى العصر العثمانى من سنة 1551-1911م** (رسالة ماجستير، جامعة المرقب، 2008)، 102 ، للاستزادة عن المئذنة انظر: 101-107، 189، وبصفة عامة لم يتجاوز ارتفاع المآذن ذات نفس التخطيط (المآذن المربعة) 12 متر.

[130] - أخرج مسلم عن أنس –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ مر بقوم يلقحون النخل فقال :لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصا "تمرا رديئا"، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا.. قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم . صحيح مسلم (2363)، انظر: أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، مجلدان، دار طيبة، ط1، 1427هـ/2006م، المجلد الثاني، كتاب الفضائل ، 1110.

[131] - K. A. C. Creswell, *Early Muslim Architecture*, with a contribution by Marguerite Gautier-van Berchem, 2 vols, New York 1979.

عثمان، «أحكام ضرر الكشف ...»، 139-140.

[132] - عثمان، «أحكام ضرر الكشف ...»، 139-140.

[133] - S. OMER, «Towards Understanding Islamic Architecture», *Islamic Studies*, Vol. 47, No. 4 (Winter 2008), 503- 510.

[134] - عن القصر وعمارته وتصاويره راجع: عفيف بهنسي، «القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين»، *الحوليات الأثرية السورية*، المجلد 25، ج1-2 (1975م)، 16- 19 ؛ مارتين الماغرو وآخرون، **قصير عمرة سكني وحمامات أموية في بادية الأردن،** إعداد المعهد الأسباني العربي للثقافة (مدريد 1975م)، دراسة أسبانية مع ملخص بالعربية ؛ سامح، **العمارة في صدر الإسلام**، 32-38 ؛ نويصر، **الآثار الاسلامية**، 86-88 ؛ حسن الباشا، **التصوير الإسلامي في العصور الوسطى** (القاهرة، دار النهضة العربية، 1992م)، 54- 63.

[135] - ملاحظة انتشار المسارح الرومانية وأقواس النصر في كل من سوريا، اليونان (أثينا وثيسالونيكي)، المغرب (وجدة)، ليبيا عن زيارات ميدانية للباحث في الفترة من (2002-2014م)،

[136] - محمد خليل نايل، محمد أمين عبد القادر، **تاريخ فن العمارة**، ج 2 (القاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، 1943م)، 258-259.

[137] - نايل، عبد القادر، **تاريخ فن العمارة**، ج 2، 271-279.

[138] - زيارة ميدانية للباحث 2014.

[139] - زيارة ميدانية للباحث 2012م.

[140] - والعولمة في مفهومنا الحالي تمثل عملية اقتصادية في المقام الأول، ثم سياسية، ويتبع ذلك آثارها في الجوانب الاجتماعية والثقافية وهكذا.عن شرح معاني كلمة عولمة Globalization انظر:
مصطفى عبد الغني، **الجات والتبعية الثقافية** (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م)، 9-11، 72-73.
http://www.sociology.emory.edu/globalization/glossary.html#G [Accessed: 12/12/2012 19: 25]
وللمزيد عن العولمة والبعد الجغرافي-الاقتصادي لها انظر:
Eric Sheppard, «The Spaces and Times of Globalization: Place, Scale, Networks, and Positionality», *Economic Geography*, Vol. 78, No. 3 (Jul., 2002), 307-330. And ; Peter Dicken, «Geographers and 'Globalization': (Yet) Another Missed Boat? », *Transactions of the Institute of British Geographers*, New Series, Vol. 29, No. 1 (Mar.,2004), 5-26.